



عقيدة ختم النبوة المصالح والمفاسد دراسة عقدية

الأستاذ
نادر محمود

الأستاذ الدكتور / نادرة حسن عبد الجواد محمود

أستاذ العقيدة والفلسفة المساعد

في كلية الدراسات الإسلامية

والعربية للبنات بالمنصورة

البريد الإلكتروني: NaderMahmoud1838.el@azhar.edu.eg

العام الجامعي

١٤٤٤ هـ / ٢٠٢٢ م

ملخص البحث باللغة العربية:

عقيدة ختم النبوة المصالح والمفاسد

"دراسة عقدية"

نادرة حسن عبد الجواد محمود

قسم العقيدة والفلسفة، كلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنات، جامعة الأزهر،
المنصورة، مصر.

البريد الإلكتروني: NaderMahmoud1838.el@azhar.edu.eg

ملخص البحث:

الايان بعقيدة ختم النبوة لسيدنا محمد ﷺ معلوم من الدين بالضرورة، والمؤمن
بالدين الإلهي متمسك بها الي قيام الساعة، والخارج عن الدين الإلهي منكر لها شقي في دنياه
شقي في أخراه.

يقوم البحث في فصول ثلاثة:

أولها: ما يتعلق بمحددات الدراسة، وأعني بها اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ، وعموم
رسالته، ثم ختم النبوة به الي يوم البعث إن شاء الله.

ثانيها: المصالح المرتبطة بها يستوي في ذلك ما يقع للفرد والجماعة، للإنس والجن،
وغيرهم الي قيام الساعة، وتدور تلك المصالح في مدارات أولها إثبات العقيدة، ثانيها تطبيق
الأحكام الشرعية، ثالثها تحقيق السعادة، رابعها حفظ السلم والسلام، خامسها كمال الدين
وتمام الأخلاق.

ثم يأتي الفصل الثالث: مفاسد انكار عقيدة ختم النبوة، ويدور في مدارات أبرزها
مصادمة الفطرة ثم شيوع الإلحاد، وبعده تمكين ذوى القصور العقلي، ثم القول علي الله
تعالى، وإحلال شهوة العقلانية محل النصوص الشرعية، ثم بيان ما يترتب علي ذلك من

أنواع المفاصد.

وأخيرا الخاتمة، وأهم النتائج، وأبرز التوصيات.

الكلمات المفتاحية:

(إثبات النبوة - عموم الرسالة - ختم النبوة - المصالح - المفاصد)

ملخص البحث باللغة الإنجليزية:

The Dogma of Finality of Prophethood: Virtues and Vices (Doctrinal Study)

Nadrah Hassan Abdelgawad Mahmoud

Theology and Philosophy Department – Faculty of Islamic and Arabic Studies in Mansoura – Al Azhar University – Egypt.

Email: NaderMahmoud1838.el@azhar.edu.eg

Summary:

Believing in the dogma of prophet Muhammed being the last prophet in the line of prophets is an indisputably established fact of religion ‘in which a true believer embraces until Judgment Day ‘and those who disbelieves and denies such a fact shall be experiencing a troublesome life and a hereafter as well.

The study includes the three following chapters:

First: Specifications of study ‘meaning authenticity of Muhammed’s prophethood ‘his universal message ‘and brining the line of prophets to an end with him being the last prophet until the day or resurrection.

Second: Virtues associated with that belief ‘equally applying to an individual and groups ‘humans and jinnis ‘all alike ‘until the end of the days. Those virtues revolve around a few aspects: first ‘authenticity of dogma ‘second ‘

implementation of legitimate provisions ,third ,pursuit of happiness ,fourth ,upholding order and peace ,fifth , completion of religion and good manners.

Third: Vices of denying the dogma of finality of prophethood by Muhammed (peace be upon him) ; an aspect that tackles a few issues ,including but not limited to contradicting common sense ,pervasive atheism ,empowering incompetent figures ,blasphemy ,replacing sacred texts with rational lust ,then listing the consequences of such vices and corruptive inclinations.

Eventually ,the conclusion ,highlights of study ,and recommendations of study.

Keywords:

(Authenticity of prophethood – Universal message –
Finality of prophethood – Virtues – Vices)

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، جعل الأنبياء في الناس هداة مهتدين، وبين جل شأنه أنهم في كل أمورهم قد اصطفاهم الله رب العالمين، وصنعهم علي عينه وزكاهم علي غيرهم، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَضْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ﴾^(١).

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ميزهم بخصائص من عنده، بثها فيهم حتى لا يكون لغيرهم اشتراك معهم في شيء منها، وهذا الميثوث فيهم هو الاستعداد لتلقي الوحي الإلهي، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(٢).

وأشهد أن سيدنا محمداً عبد الله ورسوله، شهد له القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة بالنبوة، وعموم الرسالة، وختمها، وجاء ذلك منصوباً عليه بذكر اسمه صلي الله عليه وسلم، واقتترانه بهذه الجوانب، قال تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٣).

اللهم صل وسلم وبارك عليه وعلي آله وأصحابه والتابعين والعلماء العاملين، أهل العلم والدين، وأرضي اللهم عن كل من سلك طريقهم، واهتدي بهديهم حتى يقوم الناس لرب العالمين.

(١) - سورة الحج الآيتان (٧٥-٧٦).

(٢) - سورة الكهف الآية (١١٠).

(٣) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

أما بعد،،

فإن النبوة المباركة إنما هي إرشاد إلهي وتوجيه رباني، وقد جمعت لها جوانبها من إثبات النبوة، وعمومها، وختمها بالحبیب المصطفی (ﷺ)، واستقر أمرها في الناس أجمعين، ثم جاء من شغب علي واحد منها متبعاً عقله لهواه، وحاول الطعن فيها جميعاً، أو بعضها علي ناحية بذاتها، بل سعي نفر ممن لا يحسبون في عداد ذوي المروءة إلي وضع بعض العراقيل في طريق ختم النبوة لسيدنا محمد (ﷺ) حتى يكونوا في مأمن من بعدهم عن تصديق الرسول (ﷺ)، واتباعهم إياه، وهي مما نزغهم إليه شياطينهم الذين لم يتخلصوا منهم، وصاروا يرددونها مع غيرهم حتى يومنا هذا، من ثم فقد كان اختياري هذا البحث بعنوان (عقيدة ختم النبوة المصالح والمفاسد دراسة عقدية) وسوف أذكر ما يلي: -

أولاً: أسباب اختيار الموضوع؛

بحكم أنني مسلمة من أمة الحبيب المصطفی ﷺ (أمة الإجابة)، وأعلم يقيناً أن التمسك بما جاء من عند الله والمحافظة عليه والدفاع عنه واجب شرعي علي كل مسلم ومسلمة يتمكن من القيام به، ويتأكد هذا الواجب الشرعي علي كل من ينتسب إلي قسم العقيدة والفلسفة، وبناءً عليه فإن أسباب اختيار الموضوع يمكن إجمالها في: -

(١) أن الجوانب الثلاثة (إثبات النبوة، وعمومها، وختمها) جاءت كلها في نصوص قطعية الورد، قطعية الدلالة، وهو المعلوم من الدين بالضرورة، وهذا مما يعين الباحث علي المضى في بحثه وهو علي يقين من سلامة أمره، وكلما أدرك المرء أنه موفق فيما يعمل فإن سعادته في القيام بذات العمل تكون كبيرة.

(٢) أن المحددة البحثية لكل موضوع يجب أن تتناول محاوراً في صورة يستكمل معها خطة بحثه، ويحقق من خلالها الأهداف والغايات التي يسعى إليها، وتلك مسألة مهمة في البحث العلمي، وسوف أقوم عليها إن شاء الله تعالى.

(٣) أن هذه الجوانب استقر عليها أمر السلف الصالح والخلف المستنير، فمن شذ عنها وجب رده عن شذوذه، واستمرار الضغط عليه حتى لا يزداد جرأه، ولا ينتشر في الناس شيء من أخطائه، ومن ثم فمن الواجب دراسة هذا الموضوع في الوقت الحالي، حتى يحقق أهدافه المنعقدة عليه.

(٤) أن ما يتعلق بعقيدة ختم النبوة كبير جداً علي جهة المصالح، يستوي في ذلك أمر الفرد والجماعة، بل والانسانية كلها، وهو الذي جاءت الشريعة الإلهية منبهه له، دالة عليه، قائمة به.

(٥) أن رعاية المصالح واجب شرعي يدل عليه إجماع أهل العلم المعبرين، علي أن الشريعة ما جاءت إلا لمصالح العباد في العاجل والآجل، وبناءً عليه فالتمسك بها إنما يحقق تلك المصالح حتى يكون في الناس الخير الأمثل من ناحية دنياهم، والأجر الأجل بأخراهم.

(٦) أن الذين عقدوا العزم علي الطعن في عقيدة ختم النبوة فاتهم ما يترتب عليها من مفسدات تتعلق بالفرد والمجتمع، ومنها الالحاد، والفجور، وغيرها، ومن ثم فإن دراسة هذا الموضوع من الناحية العقدية تكون علي قدر كبير من الأهمية.

ثانياً: منهجي في الدراسة:

أري أن التزام منهج بعينه قد لا يكون موفياً بالغرض، وإذا ذكرت مناهج متعددة ربما اتسعت الكتابة، ومن المناسب أن يكون المنهج المتكامل هو الذي أتعامل به نظراً لشموله غيره من المناهج الأخرى، وبخاصة أنه استعمال قديم ظهر في مؤلفات الأشاعرة، وبخاصة الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) ثم من جاء بعده، وهو في ذات الوقت يلبي احتياجات الباحث من الناحية المنهجية، ولذا تعاملت به من حيث أنه المنهج الذي تتكامل بين جنباته المناهج الأخرى الفرعية، ويقدم في ذات الوقت الخدمة العلمية للباحث المعرفي.

ثالثاً: أهمية البحث:

- ١- إبراء الذمة من الخارجين علي إجماع الأمة وردهم إلي ما دلت عليه نصوص الدين الإسلامي، وهو المقصود بسلامة النصوص، وما استقر في صواب العقول، فمن أيقن أن ظنونه لا تصل به إلا إلي حافة الهلاك ربما راجع نفسه وسلم.
- ٢- متابعة الاتجاهات المعاصرة في بناءاتها الأولي، واقتلاعها من جذورها، حتى لا تقوي شوكتها وتعوق الطريق، وهي غاية شرعية، وعرفت باسم درء المفسد مقدم علي جلب المصالح.
- ٣- إبراز المصالح المتعلقة بالإيمان بعقيدة ختم النبوة، وقيمتها العقدية، والمعلوم أن لذة العمل تقتزن بلذة النتائج، بل هي من الأمور الفطرية عند العقلاء.
- ٤- كبح جماح الأفكار الشيطانية التي تحاول تجاوز حدودها، وتسعي للنيل من عقيدة ختم النبوة، فتفتح الباب لمن فقدوا عقولهم، أو فقدوا توجهاتهم، أو صاروا أسري من يقومون علي خدمتهم فكشف هؤلاء وبيان زيفهم ومناقشتهم، وإفساد تحركاتهم، دال علي أهمية البحث من تلك الجوانب.

رابعاً: المشكلات البحثية:

- (١) كثرة المؤلفات التي تتناول المصالح، دون نظر إلي المفسد فكأنها تتحدث مع نفسها، ولا تتوجه بما تذكر إلي طائفة بعينها، وبخاصة تلك التي دونت في فترات مرت عليها قرون، ومشكلات المعاصرين رغم أن جذورها قديمة لكن صياغاتها مستحدثة.
- (٢) كثرة الكنايات التي تتناول عقيدة ختم النبوة من ذوي الاتجاهات البعيدة عن الشرع الإلهي، واستخدام صياغات ذات دلالات جدلية معاصرة، ربما تكون أقرب لثقافة الشباب البعيد عن دين الإسلام، وتتم مخاطبتهم بها، وهذا من شأنه خداعهم ودفعهم إليها، واقتباسهم منها دون الرجوع إلي الأصول الصحيحة، فيقع ما لا يحمد عقباه.
- (٣) انتشار ظاهرة الإلحاد العلمي، والفكري، والأخلاقي، وأمثالهم ممن يجدون

متسعيناً في وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمصورة، ومن ثم فإن هذا البحث يحاول القفز إلى نتائج ما ذكره هؤلاء - إن كانت لهم نتائج - ثم يقضي عليها حتي لا يبقى لها أثر.

خامساً: مكونات الدراسة:

مقدمة تشتمل علي أسباب اختيار الموضوع، المنهج المستخدم، أهمية البحث، مشكلات الدراسة، الفصل الأول، ويشتمل علي محددات بحثية، وهي: -

المحدد الأول: إثبات نبوة سيدنا محمد (ﷺ).

المحدد الثاني: عموم رسالة سيدنا محمد (ﷺ).

المحدد الثالث: ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ).

تعقيب.

الفصل الثاني: مصالح الاعتقاد بختم النبوة.

الفصل الثالث: المفاسد المتعلقة بإنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ).

الخاتمة: وتشتمل علي أهم النتائج، ثم أبرز التوصيات، وقائمة المصادر، والفهرس

العام.

وبعد فإن أكن قد وفقت فما هو إلا من أفضال الله جل علاه، وإن تكن الأخرى، فحسبي

أنني اجتهدت، وهو يدور بين الأجر والأجرين، ربنا أئنا من لدنك رحمة وهيء لنا من أمرنا

رشدًا.

الفصل الأول

محددات بحثية

تمهيد:

من لطف الله تعالى ورحمته بعباده أن بعث فيهم الأنبياء والمرسلين حتى يكونوا هداة الخلق لله رب العالمين؛ لأن البعثة "لطف من الله تعالى ورحمة للعالمين، لما فيها من حكم ومصالح لا تحصى"^(١)، قد يدركها العقل الواعي علي وجه الإجمال، وقد يدركها علي إحدى نواحي التفصيل، وذلك من أفضال الله تعالى^(٢).

ثم إن الرسول مبعوث من الله تعالى، وهو في بني البشر مثلهم من ناحية البشرية فربما وقف منه بعض من تمنوا البعثة لأنفسهم فأنكروه حسداً ولجاجاً، وجادلوا في شأنه وهو بينهم، ثم نقلوا ذلك إلي من خلفهم.

ورسول الله صلي الله عليه وسلم سيدنا محمد بن عبد الله وقع له مثل ما وقع لغيره من أنبياء الله ورسله، وحكاة القرآن الكريم بأسلوبه المعجز في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾^(٣)، فرد عليهم بقوله: ﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ

(١) - العلامة السعد التفتازاني، شرح مقاصد الطالبين، المجلد الثاني، ص ١٧٣، طبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي ١٣٠٥ هـ.

(٢) - فوائد بعثة الرسل متعددة منها معاضدة العقل فيما يستقل بمعرفتها، مثل وجود الله تعالى وعلمه وقدرته، ومنها استفادة الحكم من النبي إلي غيرها، وقد عدها الكثيرون وزادوا في عددها، وما أجمل عبارة السعد بقوله فيها حكم ومصالح لا تحصى.

(٣) - سورة الزخرف الآية (٣١) .

بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحِمْتُ رَبَّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ^(١)، ومن ثم جاءت الآيات القرآنية مثبتة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم، مبينة مكانته ومنزلته عند ربه.

ثم إنه صلي الله عليه وسلم قد بعثه الله للعالمين فقال جل شأنه، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢)، وهو معني عموم رسالته ﷺ، بحيث تشمل الإنس والجن وغيرهم، بدلالة قوله جل شأنه (العالمين).

غير أن البعض كرهوا أن تكون رسالته عامة، وحسبوا أن تكون خاصة، ظناً منهم أن في خصوصيتها فتح باب لمن يأتون بعده في أمم أخرى، واعتبروا نبوته للعرب وحدهم.

لقد رأى أهل العلم أن رسول الله صلي الله عليه وسلم جاءت نبوته عامة طبقاً لما ورد به النقل المنزل، يدل عليه ما ذهب إليه العلامة محمد الأمير بقوله: "إن الله سبحانه وتعالى جعل سيدنا محمداً فوق جميع الأنبياء، دل عليه الإشارة بالميثاق"^(٣)، مستدلاً بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْنَاكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَضْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَضْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾^(٤).

ولما كانت الرسالة لسيدنا محمد ثابتة في ذاتها، وعامة من حيث وضعها، فمن المؤكد أنها خاتمة النبوات والرسالات، وقد شهد لها ربها في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ

(١) - سورة الزخرف الآية (٣٢).

(٢) - سورة الأنبياء الآية (١٠٦).

(٣) - الشيخ محمد بن الأمير، حاشية الأمير علي شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني ص ١٢٢، وبهامشها اتحاف المريد شرح عبد السلام علي جوهرة التوحيد ط الأخيرة الحلبي، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م.

(٤) - سورة آل عمران الآية (٨١).

مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا^(١).

تلكم هي المحددات الثلاثة التي أشرت إليها وقد ذكرتها علي سبيل الاجمال ومن المناسب أن يدور أمري معها في إيجاز لا يخل ولا تطويل يمل، وسيكون ذلك علي النحو التالي إن شاء الله تعالى:

(١) المحدد الأول: إثبات نبوة سيدنا محمد صلي الله عليه وسلم:

أخبر الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم أنه أرسل سيدنا محمداً (ﷺ) علي حين فترة من الرسل قال تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾^(٢)، وبين جل شأنه أنه جعل رسالته هداية وبلاغاً وإرشاداً وتنبيهاً حتى يقود الخلق للحق جل شأنه، ومن ثم فنبوته (ﷺ) وشريعته محفوظتان من قبل الله تعالى، قال جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقد ابتدأت نبوته (ﷺ) لأهله أولاً، ثم من تبعهم، قال تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ﴾^(٤)، ثم توسع أمرها فشمّل أم القري ومن حولها، وهو المعروف بالتدرج في طريق الدعوة والإبلاغ، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّنُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنْذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾^(٥).

(١) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) - سورة آل عمران الآية (١٤٤).

(٣) - سورة الأنبياء الآية (١٠٦).

(٤) - سورة الشعراء الآيات (٢١٤-٢١٦).

(٥) - سورة الشورى الآية (٧).

ثم إن نبوته (ﷺ) قد ثبتت من خلال شهادة الكتب السابقة منها قوله تعالى: ﴿وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(١)، وقد ذكر أهل العلم أن مثبتات نبوته (ﷺ) تعددت، وكل مثبت منها كاف وحده في بيان هذا الإثبات. ومن المؤكد أن التأييد بالمعجزات سنة الله في خلقه، من حيث إن ذلك مطابق لأحوالهم، وبخاصة إذا وقع تحد من المخالفين له قال الشيخ عبد السلام المالكي في شرحه علي الجوهرة: "أثبت الله نبوتهم ورسالتهم وصدقهم بإظهار خوارق العادات علي أيديهم مطابقة لدعواهم، معجزة للمعارضين تكرماً وتفضلاً، وإحساناً من غير إيجاب ولا وجوب"^(٢).

وقد ذكر العلماء مثبتات النبوة علي وجه الإجمال، ومنها: -

(١) خوارق العادات: واعتبروا المعجزة هي أول خارق وعرفوها بأنها "أمر خارق للعادة مقرون بالتحدي مع عدم المعارضة"^(٣)، ويستمر هذا الاعجاز في الرسالة الخاتمة قائماً إلي يوم القيامة.

ذهب علماء الإسلام إلي أن سيدنا محمداً (ﷺ) ثبتت نبوته علي الخلق أجمعين، وقد

(١) - سورة الصف الآية (٦) .

(٢) - الشيخ عبد السلام ابن إبراهيم اللقاني المالكي شرح عبد السلام المسمي إتحاف المريد علي جوهرة التوحيد هامش حاشية محمد بن محمد الأمير، ص ١٢١، ط الحلبي الأخيرة، ١٣٦٨هـ / ١٩٤٨م.

(٣) - العلامة السعد التفتازاني، شرح مقاصد الطالبين، المجلد الثاني، ص ١٧٦، طبعة الحاج محرم أفندي البوسنوي ١٣٠٥هـ.

ذكر الفخر الرازي ت (٦٠٦هـ) أن "الدليل القاطع علي نبوته أنه ادعي النبوة"^(١)؛ وأنه ﷺ في دعواه النبوة لم يقتصر علي جماعة بذاتها، وإنما كان للعالمين فقد ترددت تلك العبارة "دعوي النبوة" في المؤلفات الكلامية من غير تحديد لها مما يدل علي عمومها، وقد نبه إلي ذلك الأشاعرة والماتردية وغيرهما، فهي العلامة كمال الدين ابن أبي الشريف (ت ٨٦١هـ) يقرر أن سيدنا محمداً "ادعي النبوة عن الله تعالى"^(٢).

وقد سعي الإمام الفخر الرازي إلي بيان تلك المقدمة، وذكر أنها "تبني علي أصول بعضها ضرورية كالعلم بظهوره (ﷺ) وادعائه النبوة"^(٣)، ووجه الضرورة هنا نبه إليه الإمام الإيجي (ت ٧٥٦هـ) فذكر أن دعواه النبوة صلي الله عليه وسلم "متواتر تواتراً ألحقه بالعيان"^(٤)، وقد ذكر العلامة السندي (ت ١٣٠٤هـ) في بيان هذا الجانب أن دعوي النبوة فيها التواتر والاتفاق حتى جرت مجري الشمس في الوضوح، وتلك ضرورة عقلية لا محالة، ومن طعن فيها فلا يقبل له رأي، تطبيقاً للقاعدة الصحيحة أن الطعن علي الضرورات العقلية

(١) - الإمام الفخر الرازي، الإشارة في أصول الكلام، ص ٢٩٩، تحقيق د/ أكرم عبد الوهاب، ود/ علي الفقير الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م.

(٢) - العلامة كمال الدين محمد بن محمد المعروف بان أبي شريف "المسامرة بشرح المسامرة"، ص ١٩٥، تحقيق الشيخ محمد محي الدين طبعة دار الطلائع ٢٠١٣م، ومعه شرحان جليان أحدهما تأليف الشيخ قاسم بن قطلوبغا (ت ٨٧٩هـ)، والآخر نتائج المذاكرة بتحقيق مباحث المسامرة للشيخ محمد محي الدين عبد الحميد.

(٣) - الإمام الفخر الرازي، الإشارة في أصول الكلام، ص ٢٩٩.

(٤) - الإمام عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد الإيجي، المواقف في علم الكلام، ص ٣٤٩، مكتبة المتنبى بالقاهرة، سلسلة مطبوعات في علم الكلام.

دال علي أن الطاعن قد فقد قدرته العقلية ومثله لا يلتفت إليه^(١).

ولا شك أن هذا المسلك قائم علي جانب العقل ولا مطعن عليه، ويعلق ابن خمير السبتي (ت ٦١٤ هـ) مبيناً أن هذه النبوة ثابتة لرسول الله (ﷺ) بالعقل والنقل مؤكداً أن الذين حاولوا إنكارها إنما كان دافعهم إليه هو ما وقعوا فيه من أكل أموال الناس بالباطل، وميلهم إلي التمسك بما فيه مصالحهم، رغم أنها مصالح فاسدة، فيقول: "إن سبب طعن أهل الملل الكتابية علي نبوته (ﷺ) إنما هو لأجل حفظ الجاه عند مقلديهم من العوام"^(٢)....، لكونه أرسل إلي الكافة، ودعي الكافة إلي ترك ما بأيديهم من أصل شرائعهم مع ما تقولوه من كذب علي كتب الله تعالى...^(٣)، والرجوع إلي أحكام شريعة بيضاء نقية لم تشب، وترك شرائع دخلها التبديل والتغير^(٤).

كذلك ثبتت نبوة سيدنا محمد بالدلائل النقلية الواردة في القرآن الكريم والكتب

(١) - الشيخ عبد القادر بن محمد السندي "تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام" ج ٢، ص ١٠٧.

(٢) - فكرة خداع العوام من أصحاب الرئاسة الدينية المزعومة له مردود دلت عليه ظواهر النصوص الدينية الإسلامية من خلال تصديق العوام لرؤسائهم قال تعالى حكاية عنهم: ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنَتُهُمْ لَعْنَا كَبِيرَا﴾ سورة الأحزاب الآيات (٦٧-٦٨).

(٣) - يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِي وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ﴾. سورة البقرة الآيات (٧٨-٧٩).

(٤) - العلامة ابن خمير السبتي، مقدمات المرشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدّين، ص ٢٣٨، تحقيق د/ أحمد عبد الرحيم السايح، والمستشار توفيق علي وهبه، الناشر مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، الطبعة الأولى ١٤٢٩ هـ / ٢٠٠٨ م.

السابقة التي صحت نسبتها إلي الله تعالى، وحكاها القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾^(١).

ومما حكاها القرآن الكريم علي ألسنة النبوات السابقة قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾^(٢).

وبذا تكون نبوة سيدنا محمد (ﷺ) قد ثبتت بالأدلة العقلية التي لا مطعن عليها والأدلة النقلية التي لا يمكن لأحد صحيح العقل أن ينكرها^(٣)، نظرا لتوافقهما معا من كافة الوجوه. أضف إلي ما سبق أن الإمام الفخر الرازي وهو يتحدث عن مثبتات النبوة المباركة قدم بجانب ما سبق - ظهور المعجزة علي يديه صلي الله عليه وسلم -، فقال: الواضح أن الخلائق قد عجزوا عن معارضة ما ظهر علي يديه من خوارق العادات بعد تحديه بها^(٤)، فإنه يجب أن يكون نبيا، والمقدمة الأولى صحيحة والثانية كذلك^(٥).

أجل لقد بين الماتريديّة معني الوجوب الوارد عند الفخر الرازي الأشعري من باب

(١) - سورة الأحزاب الآيتان (٤٥-٤٦)

(٢) - سورة الصف الآية (٦).

(٣) - توسع ابن خمير السبتي في عرض الردود علي منكري نبوة سيدنا محمد ﷺ وبذل جهداً يحسب له راجع مقدمات المراشد، ص ٢٣٨-٢٤٠.

(٤) - هذا القيد عند الرازي له فيه وجهان، أحدهما أن يقع التحدي من النبي مباشرة، كما هو الحال في طلبه منهم الاتيان بمثل القرآن الكريم، أو بمثل عشر سور من مثله، أو سورة من مثله، الوجه الثاني أن يكون التحدي من جهة المكذبين المنكرين، فإذا جاءهم علي ما طلبوا ولم يؤمنوا دل الأمر علي جحودهم وإنكارهم.

(٥) - الإمام الفخر الرازي، الإشارة في أصول الكلام، ص ٢٩٩.

التأكيد علي -التقاء الطرفين الأشاعرة والماتريدية-علي قاعدة سواء، قال العلامة الخبازي (ت ٦٩١هـ): "قال عامة المتكلمين بعثة الأنبياء جائزة، وعند المحققين من أصحابنا أنها واجبة ولا يعنون بكونها واجبة أنها يجب علي الله بإيجاب أحد أو بإجابة علي نفسه بل يعنون أنها متأكدة الوجود؛ لأنها من مقتضيات الحكمة، فيكون عدمه من باب السفه، وهو محال علي القديم^(١) .

وذكر العلامة ابن أبي شريف أن الرسول محمد (ﷺ) ادعي النبوة عن الله تعالى، وأظهر المعجزة تصديقاً له في دعواه، فإنه لا محالة يجب أن يقع له التصديق فقال: "أما دعواه النبوة فقطعاً لا يحتمل التشكيك؛ لأنه قد تواتر تواتراً ألحقه بالعيان والمشاهد، وأما إظهاره للمعجزة فلأنه أتى بأمور خارقة للعادة، مقرونة اتيانها بها بدعواه النبوة تصديقاً له في دعواه أنه مرسل عن الله تعالى^(٢) .

بناءً علي ما سبق تكون المعجزة الواردة مع سيدنا محمد (ﷺ) جامعة بين الطريقتين الأولين، طريق الضرورة العقلية، وطريق الأدلة النقلية، فإذا حسب أمر المعجزة دليلاً برأسه كان كافياً لاشتماله علي حجج العقل والنقل من حيث أن المعجزة الكبرى لرسول الله (ﷺ) الباقية أبد الدهر هي القرآن الكريم.

ثم ينتهي الفخر الرازي إلي نتيجة قامت لديه علي مقدمات صحيحة، قال فيها: إن من ظهرت المعجزة علي يديه بالشرائط المذكورة فهو نبي، فيلزم منه القطع بنبوته صلوات الله عليه، والنبي لا يجوز أن يكون كاذباً"^(٣)، وهو اتجاه واضح في دلالة سار مع الرازي فيه

(١) - العلامة جلال الدين عمر الخبازي كتاب "الهادي في أصول الدين، ص ٢٠٥.

(٢) - الشيخ كمال ابن أبي شريف، المسامرة بشرح المسامرة، ص ١٩٥.

(٣) - الإمام الفخر الرازي، الإشارة في أصول الكلام، ص ٢٩٩.

الكثيرون.

ونبه الشيخ السمرقندي (ت ٦٩٠هـ) إلي أن ما تعلق بمعجزة المصطفى يجيء فيه التواتر من جوانب ثلاث، أحدها: أنه أتى بالقرآن وإعجازه بالتواتر، ثانيها: أنه أتى بمعجزات كثيرة مجموعها من حيث الرواة بلغ حد التواتر، ثالثها: أخباره بالمعجزات وقد بلغ في ذلك حد التواتر^(١)، ومن كان ذلك شأنه فمن المؤكد أن نبوته هي التواتر ذاته .

لقد نبه العلماء إلي أن مثبتات نبوة سيدنا محمد (ﷺ) بعد ما سلف ذكره تدور في وجوه أحدها الاستدلال بأخلاقه وأفعاله وسيرته صلى الله عليه وسلم^(٢)، ثانيها: أخبار الأنبياء المتقدمين^(٣)، إلي غير ذلك مما تردد في المؤلفات العقدية وغيرها.

وقد أفرد الإمام الغزالي لهذه الدلائل صفحات مطولة في كتابه الاقتصاد في الاعتقاد بدءاً من حديثه عن وجه إعجاز القرآن الكريم إلي آخر هذا القطب علي ناحية تفصيلية، وفيها الكثير من الجوانب التي تفيد طالب العلم وتعينه علي تحقيق غايته، وقد أضاف إليها كثيرون من مفكري المسلمين إبداعاً أو نقلاً، ومن أبرزها في الوقت الحاضر ما ذكره أ. د/ عوض الله حجازي^(٤)، وما ذكره أ/ وحيد الدين خان في كتابه الإسلام يتحدى^(٥)، ومن ثم فإن ما يذكر

(١) - راجع للعلامة شمس الدين السمرقندي "الصحائف الإلهية ص ٤٢٢-٤٢٣، تحقيق د/ أحمد عبد

الرحمن الشريف، مكتبة الفلاح بالكويت الطبعة الأولى ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م.

(٢) - تفاصيل هذا الدليل منبثة في الكتب الكلامية علي نواح متعددة راجع للإمام سعد الدين التفتازاني، شرح المقاصد ج ٢، ص ١٨٧-١٨٩.

(٣) - أفرد الإمام الشهرستاني لهذا الجانب صفحات راجع الملل والنحل، ج ٢، ص ١٨، تحقيق أ/ عبد العزيز الوكيل، دار الاتحاد العربي للطباعة، ١٩٦٨م، وراجع للإمام السمرقندي الصحائف الإلهية ص ٤٢٣-٤٢٨، والسعد التفتازاني شرح المقاصد، ج ٢ ص ١٨٩-١٩١.

(٤) - راجع د/ عوض الله حجازي دراسات في العقيدة الإسلامية ص ٨٩-٩١، دار الطباعة المحمدية

بشأن المحدد الأول هو التواتر نفسه.

(٢) المحدد الثاني: عموم رسالته ﷺ:

شاءت إرادة الله تعالى أن يبعث سيدنا محمد (ﷺ) برسالة عامة تشمل الزمان والمكان والأشخاص، بل الإنس والجن، وقد دلت عليه دلائل من النقل والعقل، فمن النقل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾^(٢)، وهي أمة الدعوة، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣)، وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٤)، يستوى في ذلك عموم الزمان والمكان، وعموم الأفراد والجماعات، وقد اجتهد علماء المسلمين في بيان هذا الجانب من عموم الرسالة للإنس.

وجاءت آيات أخرى تتحدث عن بعثته (ﷺ) للجن منها قوله تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا

=

بالقاهرة الطبعة الأولى ١٤١٣هـ / ١٩٩٢م.

(١) - راجع كتابه الإسلام يتحدى حيث ذكر فيه شهادة كل من ليبنتز، والبروفير سميث، والبروفير سقويارت، والدكتور موريس بوكاي في كتابه الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٣٠٢.

(٢) - سورة الأعراف الآية (١٥٨).

(٣) - سورة سبأ الآية (٢٨).

(٤) - سورة الأنبياء الآية (١٠٧).

(٥) - سورة الأحقاف الآية (٢٩).

(١) عَجَبًا

وجاءت النصوص الشرعية علي وجه العموم كتاباً وسنة، متحدثة عن بعثته للجن والإنس معاً، من ذلك قوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (٢).

وعرف هؤلاء بالثقلين، وصار ذلك من الضروريات القطعية التي لا يجادل فيها صاحب عقل سليم، وإذا جادل وظهر له الصواب رجع إليه وأعلن تصديقه به، وخرج عما كان يعتقد طالما فتح الله عليه بنور الإيمان، واستفتح قلبه بهدي الله الذي بعث به المصطفى (ﷺ) للإنس والجن، للأبيض والأحمر حتي تقوم الساعة.

ومن المؤكد أن عموم بعثته (ﷺ) للإنس والجن في كل زمان ومكان مشار إليها بالتفصيل الوارد في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضُهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيِّنَاتِ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلَّ الَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فَمِنْهُمْ مَنْ آمَنَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَفْتَقَلُّوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾ (٣).

وإذا كان الأنبياء قبل سيدنا محمد (ﷺ) كانوا يبعثون إلي أممهم خاصة وجاء الرسول (ﷺ) للإنس والجن عامة فقد ثبت بالدليل العقلي والنقلي أنه (ﷺ) صاحب الرسالة الكبرى إلي يوم القيامة، وهذه المسألة المتعلقة بعموم الرسالة (خص بها المصطفى صلوات الله عليه وسلامه) (٤)، فهو الأعم ورسالته العامة إلي يوم الدين.

(١) - سورة الجن الآية (١).

(٢) - سورة الرحمن الآية (٣٣).

(٣) - سورة البقرة الآية (٢٥٣).

(٤) - الإمام الشهرستاني، الملل والنحل، ج ١، ص ٣٨، تحقيق أ/ عبد العزيز محمد الوكيل.

وقد أكد ابن خمير السبتي (ت ٦١٤) أنه (ﷺ) قد أرسل إلي الكافة، ودعاهم إلي ترك ما يؤذيهم، والرجوع إلي أحكام شريعة بيضاء نقية، وقد تنبه إلي دعواه الكثيرون، ثم انقسموا إلي ضرب ثلاث، أحدها: ما رأي في معجزاته وأضافها إلي السحر والشعوذة^(١).

ثانيها: ضرب أنكر النسخ وموه علي العوام وهؤلاء محجوبون في كل ما ذهبوا إليه من إنكارهم ثبوت النبوة وعمومها، والأدلة قائمة علي تكذيبهم في كل ما ذهبوا إليه^(٢)، فالحق أحق أن يتبع، والباطل يجب أن يقتلع.

ثالثها: ضرب قال بنوته ولكن للعرب خاصة لا للكافة^(٣)، وهو الموضع الذي نحتج به عليهم، ونتحاكم إلي النصوص بشأنه حتى يظهر فساد قولهم.

من المناسب القول بأن النبوة العامة التي جاء بها الرسول محمد (ﷺ) لم يقع لها احترام إلي يومنا هذا، وأن كل الذين زعموا لأنفسهم النبوة بان كذبهم، وظهر في الناس ضلالهم، كما عجز كل مفرد لهم عن دفع أحاد الناس إلي تصديقهم يستوي في ذلك أمر الإنس كما نشاهد وأمر الجن لما هو ثابت من أنه ما من أحد بعد الرسول (ﷺ) زعم لنفسه النبوة، وزعم أنه مرسل إلي الجن أيضاً، وهذا في حد ذاته دليل عقلي وواقعي علي عموم نبوة سيدنا محمد للإنس والجن علي الانفراد والتلاقي، كما أن الذين زعموا نزول الملائكة إليهم يشيرونهم

(١) - هذا الضرب أنكر النبوة علي وجه العموم، واعتبر كل المعجزات الحسية مردها إلي أفعال يمكن الاتيان بمثلها، وقد كذبهم القرآن الكريم وكذبتهم السنة المطهرة وكذبهم الواقع في كل ما زعموا؛ لأنهم لم يأتوا بمثل ما وقع التحدي عليهم به.

(٢) - النصوص الشرعية والدلائل العقلية القطعية التي ثبتت بها النبوة المحمدية وعمومها حاكمة علي أن كل ما يخالفها ساقط بالأدلة النقلية والعقلية والواقعية.

(٣) - راجع لابن خمير السبتي "مقدمات المرشد إلي علم العقائد في دفع شبهات المبطلين والملحدين

بالنبوة بعد الرسول (ﷺ) لم يزعم واحد منهم أو يؤكد -مع كثرتهم- بأنه مرسل إلى الإنس والجن^(١).

ذكر الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني (٩٧١هـ-١٠٧٨هـ) أن الرسول (ﷺ) جاءت بعثته عامة في الزمان والمكان، فأرسله الله إلى جميع المكلفين من الإنس والجن إجماعاً، ويأجوج مأجوج، والملائكة، وجميع الأنبياء، والأمم السابقة، لدخول الجميع تحت قوله صلي الله عليه وسلم: "بعثت إلى الناس كافة ولشموله لهم من لدن آدم إلى قيام الساعة وجميع الحيوانات والجمادات حتى إلى نفسه ﷺ"^(٢).

وذهب المحققون من العلماء الذين بنوا آراءهم على النقل الصحيح والاجماع إلى أن الرسول (ﷺ) أرسل إلى الإنس والجن إجماعاً، وهو معلوم من الدين بالضرورة، "وأنه (ﷺ) مرسل إلى العالمين إرسال تكليف بمن فيهم الملائكة لما يليق بهم، فإن منهم الرافع والساجد إلى يوم القيامة، وما كلف به الإنس تفصيلاً وإجمالاً، فقد كلف به الجن كذلك، وشمل ذلك يأجوج ومأجوج"^(٣)، فإذا ما وضعنا تلك القاعدة الذهبية في موضعها وطبقناها على أدعياء النبوة إلى يومنا هذا وجدناها تكذبهم، وتنفي مزاعمهم، وفي ذات الوقت ينفرد الرسول (ﷺ) بأن رسالته قائمة إلى يوم القيامة.

(١) - جميع الدراسات التي كتبت بشأن مدعي النبوة بعد الرسول (ﷺ) لم يزعم واحد منهم -حسب قراءتي- أنه أرسل إلى الجن، وهذا في حد ذاته كاف في إثبات عموم النبوة المباركة سيدنا محمد (ﷺ) للإنس والجن، وغيرهما علي ما ذهب إليه المحققون.

(٢) - الشيخ عبد السلام بن إبراهيم اللقاني المالكي "إتحاف المريد علي جوهره التوحيد" ص ١٢٢ بهامش حاشية محمد بن محمد الأمير.

(٣) - الشيخ محمد نوي الشافعي، نور الظلام، شرح منظومة عقيدة العوام للسيد أحمد المرزوقي المالكي المكي، وبهامشه المنظومة المذكورة ص ٢٥، ط ٢، الحلبي ١٣٥٥-١٩٣٦ م.

كما أن ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) للعالمين بما فيهم الإنس والجن والملائكة وقع تفصيل فيما يتعلق بنوع الإرسال واتفقت كلمة العلماء، وصح إجماعهم علي أمور تتعلق بهذا الإرسال مما يقطع الطريق علي مدعي النبوة حتى يوم القيامة:

أولها: إرسال التشريف، وهو الذي يكون للملائكة، وفيه دلالة علي أن الرسول أشرف من الملائكة^(١).

ثانيها: إرسال التكليف، وهو الذي يكون للجن والإنس أجمعين لقوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(٢).

ثالثها: إرسال تأمين من الخسف، وهو الذي يكون للجملات بأنواعها^(٣).

بل ذكر أهل العلم أن الرسول (ﷺ) أرسل إلي كافة المخلوقات علي اختلاف نوع الإرسال، ونبه الشيخ أحمد الصاوي علي هذا فقال: "أرسل الله سيدنا محمد إلي الخلق جميعاً، ولكنه إرسال تكليف للإنس والجن، وإرسال تشريف للجملات والحيوانات الغير عاقلة، إرسال تشريف، وللملائكة قيل إرسال تكليف وقيل إرسال تشريف"^(٤).

(١) - هناك اجتهد لبعض العلماء في إرسال الرسول (ﷺ) للملائكة هل هو تشريف أم تكليف، فمن قال بأنهم مكلفون من أصل الخلقة اعتبر إرسال الرسول إليهم إرسال تشريف، ومن نظر إلي أن الرسول (ﷺ) مرسل لجميع العالمين دخلت الملائكة في عداد أمتة فلا مانع لديهم من القول بأنه إرسال تكليف، فعلي الرأي الأول ذهب ابن حجر ومن تبعه كالسبكي وجمع من المحققين إلي أن إرساله إلي الملائكة تكليف لما يليق بهم، وإلي الثاني ذهب العلامة الشيخ محمد الرملي اعتقاداً منه أن طاعتهم جبلية لا يكلفون بها، ولكل وجهة مع اتفاقهم جميعاً في أنه (ﷺ) مرسل إليهم أيضاً.

(٢) - سورة الأنبياء الآية (١٠٦) .

(٣) - راجع هذه التفصيلات لدي الشيخ محمد نووي الشافعي "في نور الظلام، ص ٢٥ .

(٤) - الشيخ أحمد الصاوي حاشية علي شرح الخريدة البهية، ص ٦٠، وبالهامش شرح الخريدة البهية

فإذا نظرنا إلى هذا الجانب من عموم رسالته (ﷺ) تبين أنه قائم لم ينقطع حتى يوم القيامة، ولو أنه انقطع لبلغنا خبره، فدل الأمر علي أن ذلك من الحفظ الإلهي لعموم النبوة المباركة، ودوامها في الزمان والمكان والأشخاص، وهي أمة الدعوة التي جاء ذكرها في القرآن الكريم وصحيح السنة النبوية المباركة.

وقد نبه العلامة الجلال الدواني (ت ٩٢٨) إلى هذا الجانب، مبيناً أن النبوة العامة لرسول الله (ﷺ) قائمة في أنه ادعى النبوة، وأظهر الخوارق وكليهما بلغ حد التواتر علي أن القرآن الكريم الذي أوحى إليه موجود محفوظ، وقد دعا المخالفين مراراً عديدة إلى المعارضة، فعدلوا عنها إلى غيرها^(١)، وما زال هذا التحدي قائماً، وسيظل حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

فإذا كان الجانب الأول من توضيح عموم البعثة المباركة قد قام علي فكرة التحدي واستمرارها فإن الجانب الآخر الذي لم يقع لواحد من مدعي النبوة بعد الرسول (ﷺ) القول به من حيث إرساله للجن، والنبات، والملائكة وغيرهم، يمثل ضرورة عقلية وأخري شرعية علي عموم نبوة سيدنا محمد (ﷺ)، وأنها للإنس والجن حتى تقوم الساعة من غير حاجة إلى التماس دلائل أخري؛ لأن الدعوي إذا كانت أدلتها برهانية فقد شهدت لنفسها من غير حاجة إلى أدلة أخري.

أضف إلي ما سبق أن كل النبوات الواردة عن الله تعالى قبل نبوة سيدنا محمد (ﷺ)

=

لأبي البركات الدردير، مطبعة الحلبي، ١٣٦٦هـ / ١٩٤٧م.

(١) - الشيخ الفاضل المولي محمد بن أسعد الصديقي الشهير بالجلال الدواني، العقائد العضدية ص ٢٠٢، بهامش حاشيتي الشيخ عبد الحكيم السياكوتي، والشيخ محمد عبده، المطبعة الخيرية ١٣٢٢هـ.

كانت نبوة خاصة، فلما بعث الرسول (ﷺ) كانت نبوته عامة ولا يعقل أن تنخرم العامة بخاصة، فبان أن كل من ادعى النبوة بعد سيدنا محمد كاذب في دعواه ودليل علي بطلان ما ادعاه^(١).

(٣) المجدد الثالث: ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) :

اقتضت حكمة الله تعالى أن يجعل الرسالة المحمدية خاتمة لجميع الرسالات، كما أن نبوته (ﷺ) خاتمة لجميع النبوات، وما دامت النبوة والرسالة قد ختمتا به، فمن المؤكد أن ذلك قائم من غير استثناء، يدل عليه آيات منها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢)، وقوله ﷺ: "كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وستكون خلفاء فتكثر"، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول، فالأول، وأعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»^(٣)، وقوله ﷺ قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجداً، وأرسلت إلى

(١) - البين أن الوجوه الثلاثة تؤكد عموم نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وأعني بها الوجه الأول: التحدي واستمراره دون انقطاع، الوجه الثاني: إرساله للإنس والجن وغيرهما، ولم يقع ادعاء مدع بعد النبوة العامة أنه مرسل إلي الجميع، الوجه الثالث: أن العام لا ينخرم بالخاص، فثبت أن مدار عموم البعثة المباركة قائم علي وجه صحيح لا ينال منه أحد أبداً.

(٢) - سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

(٣) - الإمام مسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري "المسند الصحيح المختصر"، ج ٣، باب (الأمر بالوفاء ببيعة الخلفاء)، ص ١٤٧١، رقم الحديث (١٨٤٢) المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت .

الخلق كافة، وختم بي النبيون" (١).

كما دلت ظواهر النصوص العقلية علي انقطاع النبوة بعد سيدنا محمد (ﷺ)، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ﴾ (٢)، وهي شاهد برأسه علي أنه لا نبي بعده (ﷺ) بدلالة ذكر السابق (قد خلت من قبله الرسل)، وإذا قطع النص المفهوم بين السابق واللاحق انصرف القول إلي أن اللاحق ليس موجوداً لانقطاع الصلة بين ما كان موجوداً قبل النبوة الخاتمة، وما يستحيل وجوده بعدها، وذلك مما يجري في العقول السليمة مجري البدхийات .

لقد ربط مفكرو الإسلام رباطاً وثيقاً بين النص المنزل والواقع المعاش، فأكدوا أن النبوة الخاتمة قائمة حتى تقوم الساعة، وأنه لا نبوة بعدها وفي ذات الوقت ردوا دعاوي مخالفينهم، وبينوا أسباب المخالفة وسقوطهما معاً علي ناحية عقلية، وأخري نقلية، وثالثة واقعية، وسوف أشير إلي أن إثبات الختم يدور في أمرين أحدهما المعقول، والثاني المنقول.

الأول: المعقول:

وهو يجيء من وجوه أحدها كمال الإسلام وتمام النبوة، يقول الإمام السمرقندي: "إن النبوة قد كملت به، وتمت ولا زيادة بعد التمام...." (٣).

(١) - الإمام مسلم "المسند الصحيح المختصر"، ج ١، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، ص ٣٧١، رقم الحديث (٥٢٣).

(٢) - سورة آل عمران الآية (١٤٤).

(٣) - من المعلوم أن الشيء إذا كمل وبلغ حد تمامه، فلا تصح معه زيادة، لأن الزيادة تفسده وتحوله من الكمال إلي النقصان، وهذا مما لا يصح ذكره في مجال وارد عن الله عز وجل؛ لأن الله هو الكمال المطلق، وهذا دليل عقلي بمعناه.

فإن ما أتى به من الكتاب والسنن يشتمل علي جميع ما يُحتاج إليه في أمر الدنيا، والأخرى، من الحكمة النظرية والعملية سياسة وطاعة علي أحسن الوجوه وأعدلها، وأقربها من العقل، فيصلح لكل الأمم في جميع الزمان والقرون، ويغني عن أصول أخري^(١)، وهو اتجاه واضح في دلالة العقلية علي ختم النبوة المباركة بسيدنا محمد (ﷺ).

ثم هو دليل علي أن الدين الذي جاء به محمد (ﷺ) هو كمال الدين واتمام النعمة بالنبوة الخاتمة التي امتن الله تعالي بها علي الناس، كما هو تصريح واضح من رب العزة بأن الدين الذي جاء به سيدنا محمد (ﷺ) قد بلغ طوره الأخير من الكمال والوفاء بحاجات البشر والصلاحية للبقاء والاستمرار، يقول الشيخ الندوي " ليس ذلك إلا إعلاناً بانتهاء سلسلة النبوات والرسالات السماوية بنبوّة سيدنا محمد (ﷺ) ورسالته^(٢)"، وهذا الوجه كاف علي ناحية المعقول عند انفراده.

الوجه الثاني: انعدام النسخ:

ومعناه أن كل نبوة سبقت كانت تقبل النسخ، وقد وقع فيها كثير من التحريف والتبديل، أما تلك الرسالة المباركة فقد حفظها الله بعنايته، وجعل هذا الدين مستمراً منتصراً سالمًا من التحريف والتبديل، وهذا في حد ذاته دليل عقلي وواقعي معاً، بدليل أنه لم يزعم أحد شيئاً من النسخ في تلك الديانة عقيدة وشرعية وأخلاقاً، وكل محاولة مهما كانت صغيرة بان فسادها من أول أمرها، وهو واضح في أن الله تعالي هو الحافظ لها بدلالة النصوص النقلية الواردة في هذا الشأن، ومنها قوله تعالي في القرآن الكريم: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ

(١) - العلامة شمس الدين السمرقندي "الصحائف الإلهية ص ٤٣٢.

(٢) - الشيخ أبو الحسن الندوي، خاتم النبیین، ص ١٥.

عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِنَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ^(١).

ومن المؤكد أن الهيمنة تقتضي أن يكون الرسول (ﷺ) الذي أنزل عليه القرآن الكريم هو الهداية الثابتة بل الدائمة^(٢)، ومن ثم تبطل كافة الدعاوي المخالفة وتبقي عملية الختم قائمة.

الوجه الثالث: استحسان العقول السليمة:

يقول الشيخ السمرقندي أن الرسالة الخاتمة قد: "استحسن العقول السليمة وتلقتهما الطباع السليمة بالقبول، وهو مع ذلك واف بالغرض، ويكون مغنيا عما سواه، ومُلغيا لما عداه، بخلاف سائر الشرائع السابقة، فإن فيها طرفي الإفراط والتفريط، والبعد من العقل^(٣)". وهذا الوجه القائم علي أن استحسان العقل السليم واستلهام الفطر الصحيحة، والبناء علي القواعد السليمة، كاف في إثبات النبوة الخاتمة علي ناحية العقل، وعدم احتياجها إلي الاستكمال؛ لأن الذي يقع له النسخ أو يحتاج الاستكمال هو الذي يقع له الخصوص لا العموم والختم.

الأمر الثاني: الاستدلال بالمنقول:

(أ) دلالة القرآن الكريم:

دلت آيات القرآن الكريم علي أن الرسالة المحمدية قائمة إلي يوم الساعة منها قوله

(١) - سورة المائدة الآية (٤٨) .

(٢) - راجع الشيخ أبو الحسن الندوي، خاتم النبیین، ص ٢٣.

(٣) - العلامة شمس الدين السمرقندي "الصحائف الإلهية" ص ٤٣٢ .

تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١).

ويقف الفخر الرازي ملوحًا إلي جميع المخالفين في أمر ختم النبوة بسيدنا محمد، مبينًا أن الله تعالى لما نفى أن يكون الرسول أَبًا للمؤمنين أو لواحد منهم فقد عقبه بما يقطع شبهات الآخرين، ويؤكد أن قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ﴾^(٢)، فيه دلالة أكبر من دلالة الأب لكل فرد من أفراد الأمة، ويجيء لتفسير الآية من جانب فيه نوع إبداع "وهو أن رسول الله كالأب للأمة في الشفقة من جانبه وفي التعظيم من طرفه"^(٣)، بل الأقوى فإن النبي أولي بالمؤمنين من أنفسهم والأب ليس كذلك، ثم بين ما يفيد زيادة الشفقة من جانبه والتعظيم من جهتهم، بقوله تعالى: ﴿وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٤)؛ وذلك لأن النبي الذي يكون بعده نبي إن ترك شيئًا من النصيحة والبيان يستدركه من يأتي بعده، وأما من لا نبي بعده يكون أشفق علي أمته وأهدي لهم وأجدي إذ هو كالوالد الذي ليس له غيره من أحد^(٥).

وبهذا يكون الفخر الرازي قد صاغ حجته العقلية علي ناحية منطقية من يجادل فيها أو ينكرها يحكم علي نفسه بأنه فاقد الأهلية.

(١) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٢) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٣) - هذا التوجه للرازي فيه استعظام وتقوية للدليل فإن الأب يحمل الشفقة علي جميع أفراد أمته، من حيث أنه رحمة لهم، وهم في ذات الوقت يقابلون تلك الشفقة بالتعظيم له، وهو وجه جميل وتعليق بديع.

(٤) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

(٥) - الإمام الفخر الرازي "مفاتيح الغيب، مجلد ١٢، ج ٢٤، ص ٦٠٠، ط ١، دار الغد العربي،

١٤١٢هـ/ ١٩٩٢م.

وكلمة خاتم من الناحية اللغوية لها دلالتها في أن محمداً (ﷺ) هو آخر الرسل وخاتم الأنبياء الذي لا نبي بعده، يقول العلامة السمرقندي: "قوله تعالى: (وخاتم النبيين) هذا نص صريح في ختم النبوة به، وحجة قوية بعد ثبوت نبوته غير قابل للتأويل والتخصيص"، ولفظ النبيين وإن كان عاماً، والعام من حيث أنه عام يقبل التخصيص، لكنه قد يقترن به ما يخرج عن هذه القابلية لأن لفظ الخاتم المضاف إلي طائفة لا يمكن إطلاقه إلا علي الأخير من جميع تلك الطائفة^(١).

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾^(٢).

كما أعلن القرآن الكريم أن سيدنا محمداً هو القدوة الدائمة والمستمرة في هداية الخلق إلي الخالق، لمن كان يرجو الله واليوم الآخر، قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾^(٣).

فدل الأمر علي أن هذه القدوة التي لرسول الله (ﷺ) مطلقة عامة في الزمان والمكان، وقد جاءت الآيات القرآنية علي هذا النحو الذي يجمع بين النقل والعقل.

(ب) دلالة السنة النبوية المطهرة:

وردت في السنة أحاديث دالة علي الختم، منها قوله ﷺ: "إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي، كمثلي رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله، إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون

(١) - العلامة شمس الدين السمرقندي "الصحائف الإلهية ص ٤٣٢ .

(٢) - سورة الفتح الآية (٢٨) .

(٣) - سورة الأحزاب الآية (٢١) .

به، ويعجبون له، ويقولون هلا وضعت هذه اللبنة؟ قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين^(١)، ومحل الشاهد قوله (ﷺ) وأنا خاتم النبيين.

وقد ذكر شيخ المحدثين في عصر الشيخ أنور شاه الكشميري قوله: "تواتر الأحاديث في ختم النبوة نحو مائتي حديث"^(٢)، «أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماحي، الذي يمحي بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على عقبي، وأنا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي»^(٣).

وقوله (ﷺ): «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا بيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»^(٤)، وقوله (ﷺ) قال: "فضلت على الأنبياء بست: أعطيت جوامع الكلم، ونصرت بالرعب، وأحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً

(١) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج ٤، باب (خاتم النبيين (ﷺ))، ص ١٨٦، رقم الحديث (٣٥٣٥)، المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ.

(٢) - العلامة أنور شاه الكشميري، عقيدة الإسلام نقلاً عن الشيخ الندوي في كتابه النبوة والأنبياء، ص ٢١٥.

(٣) - الإمام مسلم "المسند الصحيح المختصر"، ج ٤، باب (في أسمائه (ﷺ))، ص ١٨٢٨، رقم الحديث (٢٣٥٤).

(٤) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم"، ج ٤، باب (ما ذكر عن بني إسرائيل)، ص ١٦٩ رقم الحديث (٣٤٥٥).

ومسجدا، وأرسلت إلى الخلق كافة، وختم بي النبيون" (١).

(ج) دلالة الاجماع:

ومعناه أن النصوص الواردة في القرآن الكريم والسنة المطهرة الدالة على أن محمداً (ﷺ) خاتم النبيين قد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم، وسائر المسلمين في كل عصر علي ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ)، وانقطاع النبوة بعده، وأن كل من يدعيها ما رق من الدين، متبع غير سبيل المؤمنين (٢).

وهذا الاجماع المنعقد من عصر النبوة مستمر إلى يوم القيامة، ونحن المسلمين نتمسك بختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) ونعتبرها عقيدة أساسية بالنسبة لنا، وبناءً عليه ستكون محاولتي فيما سيأتي هي بيان المصالح المرتبطة بختم النبوة واستمرارها، وبيان المفاسد بالنسبة لمن يحاول التخلص منها أو التخلي عنها، والله أسأل التوفيق والتسديد إنه نعم المولي ونعم النصير.

(١) - الإمام مسلم "المسند الصحيح المختصر"، ج ١، كتاب (المساجد ومواضع الصلاة)، ص ٣٧١، رقم الحديث (٥٢٣).

(٢) - القاضي عياض الشفاء ج ٢، ص ٢٧٠، والشيخ الندوي، النبوة والأنبياء ص ٢١٧، وخاتم النبيين ص ٣٥.

الفصل الثاني

المصالح المرتبطة بختم النبوة

تناولت فيما سلف المحددات الثلاثة، وأعني بها إثبات النبوة لسيدنا محمد (ﷺ) وكونها عامة للإنس والجن، ثم كونها خاتمة في الزمان والمكان والأشخاص علي النواحي التي وفقني الله تعالى إليها.

بيد أنني في هذا الفصل سأتناول المصالح المرتبطة بالإنسانية علي وجه العموم فيما يتعلق باعتقاد ختم النبوة المباركة بسيدنا محمد (ﷺ) يستوي في ذلك ما يتعلق بالمصالح الفردية، والجماعية، والمجتمعية، والعالم بأسره حتى تقوم الساعة^(١)، ومن أبرزها: -

الأول: كمال الدين؛

ومعناه أن الدين الإلهي قد كمل مع عقيدة ختم النبوة، ولم يعد هناك مجال للإضافة إليه، أو الحذف منه، وبناءً عليه فلا يحتاج إلي دين يأتي بعده حتى يكمله وذلك راجع لأمر، جاءت كلها في قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾^(٢)، وهذا في حد ذاته كاف لبيان كمال العقيدة والتكاليف، وسلامة الأخلاق إلي غير ذلك من الوجوه التي نبه إليها العلماء في فهمهم للآية الكريمة.

الثاني: ثبات العقيدة الإلهية وسلامتها؛

ومعناه أن المؤمن بالأصول الدينية، المعتقد في ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) إنما يعلن عن ثبات العقيدة في قلبه، وتطبيقها علي جوارحه، واستمرارها في هذا الدور علي ناحية صحيحة، أما لماذا؟ فلأن عقيدة ختم النبوة عامة عند المسلمين قائمة علي أصول دينية

(١) - هذا التركيز علي الجوانب قد يفيد من يتعجل الوصول إلي نتائج يترقبها، فإذا ما بدا له مطالعة تفاصيلها كان ذلك بغيته التي يلاقيها في ثنايا الفصل.

(٢) - سورة المائدة الآية (٣) .

ثابتة... بما يؤكد أنها حقيقة عقلية ثابتة علي الزمن في كل عصر، وفي كل أمة، حتى ينتهي الوجود الإنساني علي الأرض^(١).

وبناءً عليه فإن الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يقرر صدق إيمان المدعي، وصحة يقينه، وإقامة العقيدة في قلبه علي ناحية عقلية وعقلية، حينئذٍ يمكنه تقريرها من جهته، والدفاع عنها من طريقه، باعتبار أن كل فرد من أفراد الأمة الإسلامية إنما هو مبلغ عن صاحب الرسالة، وقائم مقامه في التبليغ عنه (ﷺ) يدل عليه أن الرسول (ﷺ) قد جاءت الدلائل علي استخلاف كل أفراد الذين أجابوه وأمنوا به في الدفاع عن العقيدة والتمسك بها، ولا يصح ذلك إلا ممن كانت العقيدة في جزئيتها وموضوعاتها قائمة في عقله الواعي ووجدانه بجانب ما يترتب عليهما معاً.

لقد نبه الإمام الغزالي (ت ٥٠٥هـ) إلي أن المؤمن بعقيدة ختم النبوة "عرف غايته ووفق إلي مقصودة، وهو طلب الخلاص من شرور الاعتقادات الفاسدة، والهرب من الآراء المجافية للحق المعاندة"^(٢).

ومن المؤكد أن كل مؤمن واع بالنبوة الخاتمة، وأن سيدنا محمد (ﷺ) هو الذي ختمت به، ومن تمسك بهذا كله علي وجه صحيح فقد أعلن عن صحة عقله، وسلامة وجدانه، ونقاء قلبه وبعده عن كل ما يخالف ما جاء من عنده.

بل إن الإمام أبا حامد الغزالي قد صرح أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة فيه الاستقرار

(١) - د/ عثمان عبد المنعم عيش، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية دراسة لأصولها الدينية وأدلتها العقلية وشواهدا التاريخية، وإبطال لحركات التنبؤ بعد النبي قديماً وحديثاً، ص ١٢ مكتبة الأزهر، ط ١، ١٣٩٦هـ / ١٩٧٦م.

(٢) - الإمام أبو حامد الغزالي "معراج السالكين" ص ٤٧، ضمن كتاب مجموعة رسائل الإمام الغزالي، دار الفكر بيروت.

القلبي والنفسي، وبين أن هذه النبوة الخاتمة هي التي يطمئن إليها القلب، ويتمتع بحصانتها العقل، "ومن شك في أن ذلك أمر إلهي، وتأيد رباني، فقد طبع الله علي قلبه" ^(١)، وهي الموازنة الواضحة بين أهل الإيمان ودعاة الخسران.

أجل إن عقيدة ختم النبوة والإيمان بها تعلي من مقام العبد في نفسه وعند غيره، أما لماذا؟ فلأنه متي صدق العبد بأن النبوة قد ختمت، استراح قلبه، واطمأنت نفسه، وهذا وجدانه، من حيث أن جميع الخلائق من أهل الإيمان يشعرون باحتياج الخلق إلي الاعتقاد المستمر بأن النبوة قد ختمت بسيدنا محمد (ﷺ)، أضف إلي ما سبق أن الخلق يحتاجون إليها، ولو أدركوا الأحكام بعقولهم لما كانت فائدة الرسول (ﷺ)، وإذا لم يكن في عقولهم استقلال بها أولاً فكذلك أخراً اتصلت بهم ^(٢).

وبهذا تكون عقيدة ختم النبوة مما يعين في تحصيل اليقين الشرعي الوارد من الله سبحانه وتعالى بطريق يقيني.

فإذا أدركنا أن الإيمان التحقيقي بأركانه جميعها يحقق للعبد الأنس بالله تعالى وحده تبين أن ثبات العقيدة في كل فرد من أفراد المجتمع يحقق التعاون والتواصل، ويعين علي بقاء المجتمع ونقائه.

لقد تواتر لدي أهل العلم ممن يعتد بشهاداتهم القول بأن سيدنا محمد (ﷺ): "رسول الله إلي الخلق أجمعين بالهدى ودين الحق خاتماً للنبيين" ^(٣)، فلا نبي بعده، ولا يقوم شرع

(١) - الإمام أبو حامد الغزالي "معراج السالكين" ص ٨٠ ضمن كتاب مجموعة رسائل الإمام الغزالي.

(٢) - الإمام أبو حامد الغزالي "معراج السالكين" ص ٩٠.

(٣) - العلامة كمال الدين محمد بن محمد المعروف بان أبي شريف "المسامرة بشرح المسامرة،

بعد شرعه .

وبناءً عليه ظل وسيظل التحدي بالنبوة الخاتمة قائماً وهذا من شأنه التأكيد علي صحة العقيدة، ومتى كانت العقيدة في الله صحيحة قائمة علي يقين بما جاء من عند الله تعالى في كتابه الكريم، وصح عن رسول الله (ﷺ)، ولم يحدث خلل أو مغالاة فقد ثبت اليقين بصدق النبوة الخاتمة والنبى الخاتم والأمة الوسط الواردة الإشارة إليها في قوله تعالى: ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾^(١).

وبناءً عليه فإن ثبات تلك العقيدة في عقل المؤمن بها في قلبه ووجدانه لهو من الدلائل علي أن الذين اعتقدوا تلك المعتقدات هم الأصح عقولاً، والأسلم نفوساً والأيسر استدلالاً، والأقوى علي ناحية العقيدة الإلهية، وتطبيقات ذلك في الواقع المعاش.

فإذا أضفنا إلي ما سلف أن الذي بلغ بتلك العقيدة هو سيدنا محمد (ﷺ) لم يعيش أكثر مما قدره الله تعالى له في دار الدنيا، وقد أنزل عليه ربه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾^(٢)، وهذه المسألة الاخبارية الواردة في كتاب الله تعالى، وعن رسول الله (ﷺ) منذ ما يقارب الألف والنصف عاماً ما تزال قوية فاعلة مؤثرة، لم يحدث لها تكذيب أبداً، وهذا من شأنه دعم قضية الإيمان في عقل المؤمنين بختم النبوة؛ لأنه لو حدث اضطراب ولو مرة واحدة، لما أخبر به رسول الله من كونه خاتم الأنبياء والمرسلين بل كان ذلك مدعاة للتشكيك في النبى (ﷺ) وختم النبوة معاً، فبان أن من المصالح للفرد والجماعة والمجتمع، بل العالم كله الاقرار بعقيدة ختم النبوة.

(١) - سورة آل عمران الآية (١١٠) .

(٢) - سورة الزمر الآيتان (٣٠-٣١) .

الثالث: تطبيق الأحكام الشرعية؛

ومعناه أن عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) جاء فيها كل ما يتعلق بالأحكام الشرعية من ناحية أصولها التي لا يقع الاجتهاد بشأنها، الصلاة هي الزكاة والصلاة هي الزكاة، وكذلك الحال في الصوم والحج، وعليه سار المسلمون إلي يومنا هذا وإلي أن يرث الله الأرض ومن عليها^(١)، ثبات في النصوص، وتكامل في الأداء.

من ثم فإن عقيدة ختم النبوة التي جاءت بها تلك الأحكام، ولم يحدث لها زيادة أو نقصان، تمنح الفرد الوعي ثقة واطمئناناً وأماناً بأن ما يقوم به هو الوارد عن الله تعالى، وبذا تتلاقى قواعد الإيمان مع أركان الإسلام، ويتلاقى الجانب النظري مع الجانب التطبيقي، ولا يكون ذلك إلا لمن اعتقد عقيدة ختم النبوة وتمسك بها، بحيث تشمل الأفراد والجماعات في كل مكان زمان.

لقد اعتبر الكثيرون أن هذه الأحكام التطبيقية هي من دلالة الصدق المحمدي علي صحة عقيدة الختم، يقول د/ عثمان عيش: "لقد كان هذا هو الدليل علي صحته عند النبي (ﷺ) قبل أن يكون عند المسلمين، فدليله علي صدقه في دعوته، وصدق الوحي الذي ينزل عليه وعصمته فيما يحفظه ويبلغه هو دليله علي أنه خاتم النبيين^(٢)."

فإذا أضفنا هذا الجانب التطبيقي وجدناه لا يقوم به سوي أصحاب عقيدة ختم النبوة، أما لماذا؟ فلأن الأحكام التطبيقية إنما هي مظهر علي صحة الإيمان القلبي، وما دام الأمر

(١) - التكاليف الشرعية مصدر أصولها الكتاب والسنة، وهما المصدران الأساسيان، ثم يأتي بعدهما ما استنتج منهما كالإجماع والقياس، ثم الاستصلاح، أو الاستصحاب، ثم المصالح المرسلة. راجع للإمام الشاطبي الموافقات في أصول الشريعة، وكذلك كتابه الاعتصام، حيث فصل هذه المسائل وقرن بينها، وأدلتها من الكتاب والسنة.

(٢) - د/ عثمان عبد المنعم، عقيدة ختم النبوة ص ١٦.

كذلك فسيستمر المؤمن بعقيدة ختم النبوة سائراً في ذات الطريق حتى يلقي الله تعالى وهو علي ذات العقيدة، حينئذ تصح عقيدته، وتسلم له أحكام شريعته.

فإذا تبين أن من وظائف النبي تعريف الخلق بالخالق جل علاه وطرق عبادته وبيان الحكم والمصالح التي لا تحصى، فقد تبين أن استمرار العبد في أداء الأحكام والتكاليف إنما هو أثر من آثار الإيمان بعقيدة ختم النبوة الخاتمة.

لقد نبه الإمام السعد وغيره أن النبي الذي يرد عن الله تعالى له دلائل^(١)، كما أن كل رسول صحيح سبق إنما يقدم للأمة التي بعث فيها ما يصل بهم إلي الهدى والرحمة إن هم أطاعوه، ويقرر الإمام السعد أن مما جاء به الأنبياء والتزمه أهل الإيمان به ونادي فيهم الرحمن جل شأنه هو "معاوضة العقل فيما يستقل بمعرفته مثل وجود الباري وعلمه وقدرته، لئلا يكون للناس حجة بعد الرسل، ومنها استفادة الحكم من النبي فيما لا يستقل به العقل"^(٢).

ما من شك في أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يعطي المرء أماناً وهو يقوم بأداء التكاليف العملية، فلا يلتفت إلي دعاوي المغرضين، كما لا يهتم باختلافات غير العارفين؛ لأن من صدق بحقيقة النبوة الخاتمة لم يتشكك أبداً في أن ما يقوم به من تكاليف يثاب عليها، ومن

(١) - كل نبوة سلفت كانت خاصة، وبالتالي فدلائلها المرتبطة بها لا بد أن تكون من جنس ما تمكن منه من يدعوهم، وقد صح ذلك عن الله تعالى جل شأنه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. سورة إبراهيم الآية (٤)، ومحل الشاهد في الآية أن لسان قومه هو ما اعتادوه في علومهم وطبهم وغيرها، بجانب اللغة التي يتحاكمون إليها، وهو الذي فهمته من معني الآية الكريمة.

(٢) - الإمام السعد التفتازاني "شرح المقاصد" ج ٢، ص ١٧٣، وقد ذكر الإمام كثيراً من تلك الفوائد والمصالح المرتبطة ببعثة الرسل واستمرار النبوة الخاتمة، بحيث لا يكون بينهما انقطاع أبداً.

يتخلف عنها يعاقب بها من حيث إن ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) حكم إلهي صحيح مترتب عليه صدق النبي وعصمته في التبليغ عن الله تعالى، وبذا يجمع بين الدليلين العقلي والنقلي علي أساس أن وسيلته التكليف العملية.

الرابع: تحقيق السعادة في أعلى مراتبها:

أهل العلم علي أن السعادة ضربان، الأول هو السعادة الدنيوية، والثاني هو السعادة الأخروية^(١)، وكل منهما نوعان إما مطلق، وإما مقيد إلي غيرهما باعتبارات متنوعة، ومن المؤكد أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة وتطبيق الأحكام العملية يحققان تحصيل السعادة الدائمة في الدنيا والآخرة، وهو ما يعرف في المؤلفات الكلامية باسم تهذيب النفس^(٢).

لقد أكد الإمام الغزالي علي ضرورة الاعتقاد بختم النبوة المحمدية واستمرارها؛ لأنها تحصل السعادة للمؤمن بجميع أنواعها ومظاهرها من خلال قاعدة عامة هي تهذيب النفس بما شرع الله^(٣).

أضف إلي ما سبق أن تحصيل السعادة الدنيوية يكون بالتزام تعاليم النبوة والتمسك بعقيدة الخاتم، أما لماذا؟ فلأن الأمر إذا بعد عن التمسك بعقيدة ختم النبوة وقع صاحبه في الشقاق وسقط بين دركات الإلحاد حينئذ يشقي، وما ذلك إلا لأنه تخلي عن الأصل، واتبع

(١) - المؤمن بالله تعالى الموقن بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد يجمع بين سعادي الدنيا والآخرة، يدل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ أُولَئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾. سورة البقرة الآيتان (٢٠١-٢٠٢)

(٢) - الأصل لدي علماء الشريعة الإلهية من المتكلمين والأخلاقين والصوفية وغيرهم أن تهذيب النفس يكون في جلب منفعة مشروعة، أو دفع مضرة عاجلة.

(٣) - راجع للإمام الغزالي معراج السالكين، ص ٨٨، حيث يؤكد أن الرسل مبعوثون لتبيين ما يصلح للخلق، ويحقق السعادة مع اختلافهم في قرائحهم وغرائزهم ومقدار قبولهم وعقولهم.

أوهام الجنس، وغلب رغبته في السير خلف الشيطان، والبعد عن صحيح الإيمان. لقد نبه أهل العلم إلي أن السعادة تأتي في القرب من الله تعالى، والقرب من الله يتحقق بالتزام ما جاء من عنده جل علاه، فإذا سجد الساجد فإن سجوده لله لا بد أن يكون فيه متابعاً ما جاء من عند الله مع خاتم رسل الله، وهذا غاية ما يسعى إليه المؤمن، وربما أشير إلي جانب مهم، وهو أن الساجد تحصل له لذة السجود لله سبحانه وتعالى، "كما أن" الساجد إذا أذيق طعم السجود يقرب؛ لأنه يسجد، ويطوي بسجوده بساط الكون ما كان وما يكون، ويسجد علي طرف رداء العظمة فيقع له القرب"^(١).

فإذا وقع هذا السجود من العبد للرب أخذه الله تعالى إلي مكان القرب ولسان حاله يقول رب اجعلني من عبادك المقربين، ولا يكون قريباً من ربه إلا إذا تحقق فيه معني قبول النبوة الخاتمة، وأن هذه النبوة قد بعث بها "النبي محمد الأمي القرشي إلي كافة العرب والعجم والجن والإنس، فنسخ بشره الشرائع وفضله الله علي سائر الأنبياء، وجعله سيد البشر"^(٢).

حينئذ يقف العبد علي باب القرب ممسكاً قلبه متمكناً منه حتى يكون في محل رضوان ربه، وهذا في حد ذاته مما تقع فيه عمليات تجليات الروح القدس النبوي الذي يختص الله به الأنبياء، وبعض الأولياء، ومن المؤكد أن فيه تتجلي لوائح الغيب وأحكام الآخرة، ولا يبعد أن تتجلي معه جملة معارف ملكوت السماوات والأرضيين مما لا تصل إليه قدرات الروح العقلي والفكري^(٣)، بل لا بد فيه من المدد الإلهي، والفتح الرباني.

(١) - الإمام الغزالي روضة الطالبين، ص ١٢٤.

(٢) - الإمام الغزالي "قواعد العقائد في التوحيد"، ص ١٦٣.

(٣) - هذا الجانب نبه إليه الكثيرون من أهل العلم وامتثلت به مؤلفاتهم وصار ذلك من المعالم التي =

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾^(١).

لقد سعي المؤمن بعقيدة ختم النبوة إلي التماس السعادة من الكتاب والسنة فوصل بفضل الله تعالى إلي غايته، أما غيره فمن المؤكد أن "كل من طلب هذه الكيمياء من غير حضرت النبوة فقد أخطأ الطريق ويكون عمله كالدينار البهرج، فيظن في نفسه أنه غني، وهو مفلس في القيامة"^(٢)، والموازنة كاشفة أن الأول سعيد والثاني غير سعيد.

وما دام طلب السعادة اقترن بحضرة النبي محمد (ﷺ) فقد دل الأمر علي ضرورة استصحاب تلك النبوة واعتقاد استمرارها في نفسها، وختمها لكل ما سبق، ويمكن الإلماح إلي هذا بظاهر قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكُمْ غِطَاءَكُمْ فَبَصَرُكُمُ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾^(٣).

ثم إن تحصيل السعادة في القلب يحتاج المجاهدة، وتطهير الأخلاق المذمومة يحتاج المجاهدة وطرق الوصول إلي الصفاء يحتاج المجاهدة حتى تصير تلك المجاهدة عنواناً

=

ينبهون عليها، ولعل ذلك الوصول إليه من فهمهم للإشارة الذكية في قوله صلى الله عليه وسلم، يقول: "قد رأيت عبد الرحمن بن عوف يدخل الجنة حبوا". الشيخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل "مسند الإمام أحمد بن حنبل"، ج ١، باب (عائشة بنت الصديق ﷺ) ص ٣٣٧، رقم الحديث (٢٤٨٤٢)، قال المحقق: الحديث ضعيف، ولا مانع عندي من تطبيق قاعدة المحدثين أنه يعمل به في فضائل الأعمال، المحقق: شعيب الأرناؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر: مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ هـ / ٢٠٠١ م

(١) - سورة الشورى الآية (٥٢)

(٢) - الإمام الغزالي "كيمياء السعادة" ص ٤١٩.

(٣) - سورة ق الآية (٢٢).

علي أصحابها، وحيلة لهم في كل أحوالهم، ومرجع ذلك إلي ظاهر قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرْ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾^(١).

وما دام تحصيل السعادة في الدنيا والآخرة مرتبط بتهديب النفس ومعرفتها حقيقة أمرها، فمن المؤكد أن ذلك لا يكون إلا من طريق الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ)؛ لأنها مفتاح كل خير ومغلاق كل شر وطريق الوصول إلي رضوان الله رب العالمين.

وعن طريق عقيدة ختم النبوة أمكن معرفة ما يرضي الله فيشغل العبد به اشتغال الخادم لدي مولاه، وكلما اجتهد في طاعته، كلما قطع مسافة في الوصول إليه، يدل عليه ظاهر قوله جل شأنه في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"^(٢).

وإذا تمت مقابلة سعادة أهل القرب الذين تمكنت من قلوبهم عقيدة ختم النبوة بان أنها وسعادة الملائكة في طريق واحد، أما لماذا؟ فلأن سعادة الملائكة في مشاهدة جمال الحضرة الربوبية، وليس للغضب والشهوة إليهم من طريق، يقول الإمام الغزالي: "إن كنت من جوهر الملائكة"^(٣)، فاجتهد في معرفة أصلك حتى تعرف الطريقة إلي الحضرة الإلهية، وتبلغ إلي مشاهدة الجلال والجمال، وتخلص نفسك من قيد الشهوة والغضب، وتعلم أن هذه

(١) - سورة المزمل الآية (٨) .

(٢) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج ٨، باب (التواضع) ص ١٠٥، رقم الحديث (٦٥٠٢) .

(٣) - المقصود بجوهر الملائكة هنا الاستمرار في الطاعة، والبعد عن المعصية، والوقوف تحت أمر الله في كل ما يقضي به، ويأمر لأنهم عباد مكرمون لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون .

الصفات لأي شيء ركبت فيك، فما خلقها الله تعالى لتكون أسيرها لكن خلقها حتى تكون أسيرك، وتسخرها للسفر الذي قدامك، وتجعل أحداها مركبك، والأخرى سلاحاً حتى تصير بها سعادتك^(١).

من غير شك أن طلب السعادة أمر ميسور، لكن تحصيلها يحتاج المجهود ومعرفة طريقها لا بد فيه من نور النبوة الخاتمة، التي جعلها الله تعالى في عباده حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

صحيح أن طلب السعادة أمر فطري، وأن طريق الوصول إليه أمر معرفي، لكن التحقق بها يعتمد علي التوفيق الإلهي أولاً، وانفلات القلب بعيداً عن الشهوات الزائلة، والتمكن منه حتى يسير إلي الأصل الذي جاء منه إذ القاعدة أن كل ما تبصره بعين الظاهر، فهو من عالم الشهادة^(٢).

وإذا كان تحصيل السعادة وتمكينها من القلب النوراني لا بد فيه من دليل فما ذلك إلا عن طريق ختم النبوة، والتمسك بها، فاتباع المرسلين غاية عظمي، أما اتباع خاتم المرسلين فهو الطريقة الأعظم بعد العظمي^(٣).

(١) - الإمام أبو حامد الغزالي "كيمياء السعادة" ص ٢٢٠.

(٢) - خلق الله تعالى عالم الغيب وعالم الشهادة وغيرهما، وجاءت الإشارات في علمهما وغيرهما إلي الله تعالى، وتفضله جل شأنه بكشف بعض علمهما إلي من يختصه بتلك الصفة، وهو الخاتم المصطفى (ﷺ) قال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرُ الْمُتَعَالِ﴾ . سورة الرعد الآية (٩)، وقال تعالى: ﴿عَالِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلَّا مَنِ ارْتَضَى مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا لِيَعْلَمَ أَنْ قَدْ أَبْلَغُوا رَسُولَاتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَى كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا﴾ سورة الجن الآيات (٢٦-٢٨).

(٣) - الفرق بين اللذة العظمي واللذة الأعظم يشار إليه في كثير من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية،

ما دام تحصيل السعادة قد عرفت أسبابه، وبانت طرائقه فمن المؤكد أن الأسباب والطرائق والمقدمات والنتائج مرتبطة كلها بعقيدة ختم النبوة.

ثم إن كل شرف إنما ينسب لصاحبه، وليس هناك " أشرف من الله سبحانه وتعالى؛ لأن شرف كل موجود به ومنه، وكل عجائب العالم أثار صنعته فلا معرفة أعظم من معرفته، ولا لذة أعظم من لذة معرفته، وليس منظر أحسن من منظر حضرته، وكل لذات وشهوات الدنيا متعلقة بالنفس وهي تبطل بالموت، ولذة معرفة الربوبية متعلقة بالقلب فلا تبطل بالموت، بل تكون لذته أكثر وضوؤه أكبر؛ لأنه خرج من الظلمة إلى الضوء^(١).

وكل ذلك راجع إلي تحصيل السعادة التي مصدرها الله سبحانه وتعالى ودليلها عقيدة ختم النبوة المباركة وأسانيدها ما دلت عليه الدلائل الشرعية في الكتاب والسنة علي ما سلفت الإشارة إليه.

الخامس: حفظ السلام والسلام^(٢)؛

ومعناه أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يلزم صاحبه تطبيق ما ورد في نصوص تلك النبوة

=

يدل عليه ظاهر قوله ﷺ " إذا دخل أهل الجنة الجنة، قال: يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تدخلنا الجنة، وتنجنا من النار؟ قال: فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل " الإمام مسلم "المسند الصحيح المختصر"، ج ١، باب (إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة)، ص ١٦٣، رقم الحديث (١٨١) .

فإذا دخل أهل الجنة الجنة فهي المنزلة العظمي، وإذا تجلي عليهم ربهم ونظر إليهم فهي المنزلة الأعظم.

(١) - الإمام أبو حامد الغزالي "كيمياء السعادة" ص ٢٦-٢٧.

(٢) - وردت مادة الكلمة (س. ل. م) في القرآن الكريم حوالي تسع وخمسين ومائة مرة . راجع الأستاذ/

محمد فؤاد عبد الباقي، المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، بحاشية المصحف الشريف باب

(السين) ص ٤٣٦-٤٣٩، ط دار الحديث.

من غير اختصار أو اجتزاء من حيث أنها عامة في جميع أمة الدعوة، عامة في جميع أقطار الأرض، وبعبارة أخرى عامة في الزمان والمكان والأشخاص، وهذا من شأنه أن يحقق قاعدتي السلم والسلام^(١).

لقد بان أن هذا الجانب يتكامل فيه نوعان أحدهما: السلم، والثاني السلام، فإذا أمكن التقاط كل منهما من مواضعه في الكتاب والسنة، وما ذهب إليه المتكلمون من أهل العقيدة بان أن مصدرهما هو الوارد في النبوة الخاتمة من ذلك.

(أ) السلم:

قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(٢)، فالمؤمن بعقيدة ختم النبوة يري التوجيه الرباني في الأمر بالسلم من حيث أنه يدعو للألفة والمحبة والتكاتف والتعمير، ويبعد تماماً عن وسائل التخريب والتدمير، وهذا البرهان قائم في حياة الناس حتى يرث الله الأرض ومن عليها^(٣).

قال الفخر الرازي: "أعلم أنه لما بين ما يرهب به العدو من القوة والاستظهار بين بعده أنهم عند الإرهاب إذا جنحوا للسلم ومالوا إلي الصلح فالحكم قبول الصلح"^(٤)، أما لماذا؟ فلأن الصلح إذا كان فيه مصلحة فهو أمر دعت إليه الشريعة، وإذا كان أمر تلك

(١) - كثير من الأنظمة السياسية تستخدم هذه المفردات لأغراض انعقدت في قلوبهم مسائلها فإذا جاء أمر تطبيقها لم يوجد لها رجع صدي، وإنما توجد لها اختلافات ومنازعات ومشاحنات تؤدي بهم إلي طريق الهلاك.

(٢) - سورة الأنفال الآية (٦١).

(٣) - محبة السلم من المسائل الفطرية لدى الكثيرين من ذوي الأخلاق السليمة، أما الذين يعيشون في اضطراب دائم فليسوا معدودين من ذوي الفطر السليمة والسلوكيات الحميدة.

(٤) - الإمام الفخر الرازي "مفاتيح الغيب"، مجلد ٧، ج ١٤، ص ٥٢٦.

المصلحة قد جاء في ناحية المسلمين، فمن الأولي أن يتم ذلك، وهنا تصور رائع لما تنبئ عنه عقيدة ختم النبوة، من حيث تفويض الأمر إلي الله المشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾، فمنه العون والسداد، ومنه النصرة والوفاء، لقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١).

وفي الآية إشارة لما تتمتع به عقيدة ختم النبوة من أن أمر الإيمان مبني علي الظاهر، وما كان مبنياً علي الظاهر فإن أمر الباطن لا ينقده؛ لأن الظاهر مدرك لبني الإنسان، أما الباطن فلا يعلمه سوي الواحد الديان^(٢).

والمؤمن بعقيدة ختم النبوة يري السلام ضرورة له، وأسرته، ومجتمعه، والعالم بأسره، بل قامت عصبة الأمم المتحدة وغيرها بالتأكيد علي مبدأ التعايش السلمي في معناه العام يضمن للفرد حقوقه، كما يلزمه القيام بواجباته، وهذا كله وارد في نصوص تنزلت علي قلب صاحب النبوة الخاتمة، وطبقها حال حياته (ﷺ) وجاءت تفاصيلها فيما أوحى إليه من ربه وتلفظ به الرسول الكريم وهو الحديث النبوي الشريف، وهو محفوظ بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٣)، وقوله ﷺ «ألا إني أوتيت الكتاب، ومثله معه»^(١).

(١) - سورة العنكبوت الآية (٦٩).

(٢) - اتفقت كلمة العلماء علي أن مما يترتب علي آية السلم هو رقابة قوة العدو، فإن كانت القوة فيهم لا مانع من المهادنة المدة التي تمكن المسلمين من الاستعداد الكامل وغلبة خصومهم، أما إذا كانت في جانب المسلمين فلا مانع من توثيق عقد يلتزمه الآخر تظهر فيه سماحة المسلمين، ومدي تمسكهم بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ)، ولا ننسي أن الله تعالى قد وعد المسلمين بالنصر إذا نقض غيرهم عهدهم قبل تمام مدتهم لقوله تعالى: ﴿وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَتِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾. سورة التوبة الآية (١٢).

(٣) - سورة النجم الآيتان (٣-٤).

إذا تحقق هذا علي أرض الواقع ارتفعت راية السلم، وتلاشت رايات الدمار، وتحقق لكل فرد الفرص المتكافئة التي تدل علي التزامه المعايير الإلهية وخضوعه لها.

(ب) السلام:

وهو يعني أن يقع تبادل بين أفراد المجتمع بحيث يأمن كل علي نفسه، وعقله وزوجه وماله وولده وتراعي لكل فرد ما يتعلق بمقصود الحق من الخلق، وهي الخمس المتكررة في المؤلفات الكلامية والفقهية والأصولية ثم الصوفية وغيرها، يقول الإمام الغزالي: "مقصود الشرع من الخلق خمسة، هي أن يحفظ عليهم دينهم، ونفسهم، وعقلهم، ونسلهم، ومالهم، فكل ما يتضمن حفظ هذه الأصول الخمسة فهو مصلحة، وكل ما يفوت هذه الأصول فهو مفسدة، ودفعها مصلحة"^(٢)، وقد جاءت النصوص النقلية ناطقة بهذه الجوانب مقترنة بالسلم والسلام.

دل عليه ظاهر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣)، ففي الآية حفظ النفس والمال.

وقوله تعالى: ﴿يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى

=

(١) - الشيخ أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي، "سنن أبي داود"، ج ٤، باب (في لزوم السنة) ص ٢٠٠، رقم الحديث (٤٦٠٤)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

(٢) - الإمام أبو حامد الغزالي، المستصفى، ج ١، ص ١٤٠، ط القاهرة، ١٩٣٧ م.

(٣) - سورة النساء الآية (٩٤).

النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ^(١)، في الآية إشارة إلى حفظ العقل والدين.
وقوله جل شأنه: ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾^(٢)، فيها إشارة إلى حفظها جميعاً.

البادي من مادة الكلمة (السلام) أنها تحمل راحة النفس واطمئنان القلب وتهيئة الظروف، والتمهيد لعلاقات اجتماعية متوازنة، فالسلام يشمل سلام العقيدة وصحة العبادة، وسلام القلب والعقل وسلام الوجدان، ولا يكون ذلك إلا من خلال متابعة أحكام عقيدة ختم النبوة، أما لماذا؟ فلأن الآيات القرآنية نوعت في استخدام مادة الكلمة بحيث تضمن سلامة الفرد، يدل عليه قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَائِمٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾^(٣)، والمعني أن من لم تعرفه وألقى إليك السلام فلا تشكك فيه، ولا تحكم عليه بما يخالف ظاهره، وهو طريق متميز جاءت به عقيدة ختم النبوة حتى يتعامل الناس مع بعضهم بصورة طيبة ومتوازنة، فينزل كل منهما الآخر منزله الراقي^(٤).

ثم جاء قوله تعالى: ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ﴾^(٥)، فقد دلت الآية الكريمة علي أن مبدأ السلام فطري، وعقلي، وطبيعي ومجتمعي، بدليل التعليم النبوي، فقل سلام عليكم تحظون به وتبقون معه وتتحقق لكم به

(١) - المائدة الآية (١٦) .

(٢) - سورة مريم الآية (٣٣) .

(٣) - سورة النساء الآية (٩٤) .

(٤) - حملت الآية الكريمة صورتين، الأولى لأصحاب العقيدة الصافية، والنفوس الهادئة، والثانية لغيرهم، وبينت أن أصحاب الأولي يتعالون بينما الثانية يساقطون.

(٥) - سورة الأنعام الآية (٥٤) .

النتائج المتعالية، وفي هذا تحقيق للسلام المجتمعي بعد السلام النفسي ولم يبلغ به ويطبقه إلا صاحب ختم النبوة.

ومنه قوله تعالى: ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾^(١)، والمعني أن نوحاً عليه السلام حينما هبطت به السفينة إلى مرحلة الاستواء علي الجودي، فنبهه الله إلى قاعدة السلام القلبي والمعرفي، فإذا ذكر القرآن هذه الجوانب فقد دل علي أنها مما يجب التزامه طبقاً لما أشارت إليه نصوص عقيدة ختم النبوة.

ومنه قوله تعالى فيمن يقع بينهم النزاع أحدهم علي طريق صحيح، وثانيهما علي طريق فاسد، فإلي أيهما ينحاز التوجيه الإلهي، والجواب أنه انحاز إلي ما هو أعلي في إبراهيم عليه السلام يقول لوالده: ﴿قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾^(٢)، ليدل الأمر علي أن السلام قاعدة فطرية وطبيعية مجتمعية يستوي في ذلك من يتقبلها ومن يرفضها، فمن يتقبلها فهو الهدى، ومن رفضها فقد تعلق به ما تعلق.

لقد راعت النصوص المنزلة علي صاحب عقيدة ختم النبوة جانب السلام من الناحية التوظيفية، فإذا كان الداعي للسلام شخص يقع عليه شيء من الضغط أو التلويح باستخدام القوة فما عليه إلا أن يسحب وسيلة الشر من تحت قدمي صاحبها كالحال مع إبراهيم عليه السلام ووالده الذي هدده بقوله لولده: ﴿لَئِنْ لَمْ تَنْتَهُ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا﴾^(٣)، فكان رده: ﴿قَالَ

(١) - سورة هود الآية (٤٨) .

(٢) - سورة مريم الآية (٤٧) .

(٣) - سورة مريم الآية (٤٦) .

سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا^(١) وموسي عليه السلام حينما ذهب إلي فرعون لم يقل له سوي الدعوة الرائعة التي يتحقق بها الأمن والأمان، بل السلم والسلام أيضا، فقال " قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَى مَنْ اتَّبَعَ الْهُدَى^(٢) .

وعلي هذا النحو جاءت مادة الكلمة السلام في جوانب كثيرة، والمبلغ بها هو صاحب النبوة الخاتمة حتى يعتادها الناس في سلوكياتهم، وتكون عنواناً علي توجهاتهم وطريقاً ضابطاً إلي توقعاتهم.

السادس: كمال الأخلاق الإسلامية:

ومعناه أن المؤمن بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يتمسك بالأخلاق الإسلامية التي تنتظم في مجموعات تتكامل فيما بينها، وقد جاءت في آيات الذكر الحكيم ونصوص السنة النبوية المطهرة المبلغ بها صاحب تلك النبوة الخاتمة ويمكن التماسها من خلال ما يلي: -

(١) الارتفاع بالإنسان إلي المقام العالي:

ومعناه أن النصوص الواردة فيما يتعلق بالأخلاق السليمة أكدت أن سعادة الإنسان ترتبط في الحياة الدنيا ارتباطها بالآخرة، فمن شقي في الدنيا شقي في الآخرة، ومن سعد في الدنيا سعد في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَى فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَى وَأَضَلُّ سَبِيلًا^(٣) .

وحتى لا يقع الإنسان تحت قاعدة الأعمى في الدنيا الأعمى في الآخرة فقد بينت آيات

(١) - سورة مريم الآية (٤٧) .

(٢) - سورة طه الآية (٤٧) .

(٣) - سورة الإسراء الآية (٧٢) .

القرآن الكريم طرائق الارتقاء حتى يتجاوز تلك الدرجة إلى ما هو أعلي حيث تتحقق السعادة المشار إليها بقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْذُوفٍ﴾^(١).

ويلق الدكتور/ دراز علي هذا الجانب مبيناً أن اختيار الآخرة السعيدة واختيار الآخرة التعيسة تتمثل فيهما سلطة الفرد وحرية من حيث بيان سلطة "المشرع الذي يأمر وهو شديد الحرص علي سلطته والفرد الذي يعمل وهو يدافع عن حريته...."^(٢)، ولما كانت سلطة المشرع تبقي محترمة بقدر ما تحتفظ القواعد التي تسنها بمعناها كاملاً قوياً دون مساس، فإن تنوع الظروف لا يتدخل مطلقاً لتحديد لها أو التخفيف من وطئتها، وفي هذه الحال يصبح القانون الأخلاقي مماثلاً لأي قانون من قوانين الطبيعة يخضع له الفرد خضوعاً سلبياً ويطبقه تطبيقاً أعمي"^(٣).

ولو أن الدكتور دراز رحمه الله ربط بين تحقيق هذا الجانب، وما يتعلق بالواقع المعاش من الناحية العملية فربما كان أيسر لدي الباحثين في مثل هذه النظريات الأخلاقية.

ثم إن الارتقاء بالإنسان للمقام العالي يجعل الفرد الواعي محافظاً علي تلك القيم الثابتة، بحيث يعلو بها وبما يتوافق مع عالمية هذا الدين "وإحكام أحكامه التي لا سبيل

(١) - سورة هود الآية (١٠٨).

(٢) - الواضح أن النظرة المتعجلة توحى بوجود إرادتين وسلطتين، بينهما صراع شديد، لكن المسألة فيما أرى تختلف عن ذلك، فالله سبحانه وتعالى هو صاحب الملك والملكوت، والعبد هو المأمور بفعل المشروع، والمنهي عن غير المشروع، وهو الذي أعول عليه.

(٣) - د/ محمد عبد الله دراز "دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن" ص ٩٧-٩٨، تعريب وتحقيق وتعليق د/ عبد الصبور شاهين، مراجعة د/ السيد محمد بدوي مؤسسة الرسالة دار البحوث العلمية الطبعة الثالثة ١٤٠٠هـ / ١٩٨٠ م.

لنسخها، إذ لا رسالة بعد رسالة سيدنا محمد (ﷺ) ^(١)، وهذا من شأنه الارتقاء إلي أعلى المراتب من الأخلاقية الإيجابية.

أجل إن ارتقاء الإنسان للمقام العالي هدف أخلاقي رائع يترتب عليه الانتظام في أخلاق متقنة تصلح لكل زمان ومكان، ولا يكون ذلك إلا عن طريق الإيمان الكامل بعقيدة ختم النبوة، وبخاصة أن الرسول (ﷺ) بين هذا بقوله ﷺ: (إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق) ^(٢)، وعن عبد الله بن عمرو أنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشا ولا متفحشا، وإنه كان يقول: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقا» ^(٣).

لقد شهد بكمال هذا الجانب في الرسالة الخاتمة العدو والصدیق فقد نقل المستشرق هاملت جب قوله: "إن المواقف الدينية التي عبر عنها القرآن ونقلها إلي الناس تشمل بناء دينياً جديداً متميزاً" ^(٤).

(١) - د/ سامي عامري "براهين النبوة والرد علي اعتراضات المستشرقين والمنصرين" ص ٤٩١، مركز تكوين، المملكة العربية السعودية ط ١، ١٤٣٨هـ / ٢٠١٧م.

(٢) - الشيخ أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق بن خلاد بن عبيد الله المعروف بالبخاري مسند البخاري المنشور باسم البحر الزخار، ج ١٥، باب (مسند أبي حمزة أنس بن مالك) ص ٣٦٤، رقم الحديث (٨٩٤٩)، المحقق: محفوظ الرحمن زين الله، وآخرون، الناشر: مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة: الأولى (٢٠٠٩م).

قال الشيخ الألباني: حديث صحيح، راجع سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، ج ١، ص ١١٢ الناشر: مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى، (لمكتبة المعارف).

(٣) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج ٨، باب (حسن الخلق والسخاء) ص ١٣، رقم الحديث (٦٠٣٥).

(٤) - هاملت جب دراسات في حضارة الإسلام ص ٢٥٤-٢٥٥، ترجمة إحسان عباس وآخرين، طبعة =

أجل لقد بعث الحبيب المصطفى برسائلته الخاتمة متممًا مكارم الأخلاق علمًا وعملاً، فجبر نقص النفس الإنسانية، ورفع سقف الجوانب الإيجابية، كما ألف بين الإنسان الواعي في نفسه وعلاقته بغيره، وفي ذات الوقت هذب خواطره ورفع أشواقه، ودعاه إلى تحسين صلته بالأرض والسماء، وهذا في حد ذاته مما يرفع الإنسان إلى الموقف العالي.

(٢) القدرة علي الترجيح:

ومعناه أن الله تعالى خلق الإنسان في أحسن تقويم، وقام البناء الأخلاقي الإسلامي علي هذه القاعدة، وهي أن الإنسان خير في أصل خلقته (أحسن تقويم)، ومع ذلك فهو يملك القدرة علي الميل ناحية الخير أو الشر إذا شاء أحدهما، ولعل هذا المعني هو المراد بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾^(١).

وقد نبه الشيخ ابن عاشور رحمه الله إلي أن الآية الكريمة دلت علي قاعدة الترجيح من حيث إن الإنسان مخلوق علي حالة الفطرة الإنسانية الكاملة في إدراكه إدراكًا مستقيمًا مما يتأدي من المحسوسات الصادقة.

وغايته بالمحسوسات الصادقة الموافقة لحقائق الأشياء الثابتة في نفس الأمر بسبب سلامة ما تؤديه الحواس السليمة، وما يتلقاه العقل السليم من ذلك، ويتصرف فيه بالتحليل والتركيب المنتظمين، بحيث لو جانبته التلقينات الضالة، والعوائد الذميمة والطبائع المنحرفة والتفكير الضار، أو تسلطت عليه تسلطًا ما استطاع دفاعها عنه بدلائل الحق، والصواب لجري ذلك في جميع شئونه علي الاستقامة^(٢).

=

دار العلم للملايين، ١٩٦٤م.

(١) - سورة التين الآيات (٤-٦).

(٢) - الشيخ الطاهر ابن عاشور "تفسير التحرير والتنوير"، ج ١ ص ٤٢٥ ط الدار التونسية للنشر ١٩٨٤م.

من المؤكد أن هذا الترجيح منحة إلهية تعبر عن المنظومة الأخلاقية، فإذا تغلب الإنسان علي عاداته الذميمة لم تصدر عنه إلا الأفعال الصالحة، وإذا استجاب لهواه سقط بين شهواته، وتغلب عليه دعاة الضلال عن طريق التخويف طوعاً أو كرهاً حتى ربما نسي الصواب والرشد وليته ما وقع فيهما، بل ليته التمس طريق الهدى وبلغ سبيل الرشاد؛ لأن الإنسان ليس معصوماً إذ العصمة لا تكون إلا للنبي، ومن عصمه الله تعالى بحفظه، ويملك قدرة التعالي فوق الشوائب بما أودع الله فيه من حب للخير، واستقباح للشر، قال تعالى:

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾^(١).

وفي ذات الوقت فإن هذا الإنسان يجد نفسه واحداً في إطار الوضع الإنساني الاختياري في دار الدنيا، حيث يمشي علي صراط مجانية النفس الأمارة بالسوء، ووعد الله له بالجنة، قال تعالى:

﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ﴾^(٢).

(٣) توحيد القبلية الربانية:

ومعناه أن عقيدة ختم النبوة وهي ترسم الصورة الواضحة للأخلاق إنما تنحي توجه الفعل لغير الله، إذ كل ما يصدر عن الإنسان في الإسلام يجب أن يكون في إطار عقيدة التوحيد التي تجعل العبد ملكاً للرب، لا حول له ولا طول، وإنما يتجه إلي الله تعالى اتجاه العبد إلي سيده حتى تكون علي ناحية صحيحة في خدمته "فالإنسان يفعل الخير استجابة للأمر الرباني المساوق للفطرة الخيرية للنفس"^(٣).

لقد فهم علماؤنا الأجلاء هذا الجانب ووظفوه توظيفاً مثالياً، فالإمام الغزالي مثلاً

(١) - سورة الشمس الآيتان (٧-٨) .

(٢) - سورة فصلت الآية (٤٦) .

(٣) - الدكتور/ سامي عامري "براهين النبوة والرد علي اعتراضات المستشرقين والمنصرين" ص ٤٨٨.

يجعل كل ما يقوم به الإنسان متجهًا إلى قبة واحدة هي الله تعالى، حيث يشعر العبد بأنس قلبه واستبشاره وفرحه ويعتبر أبو حامد ذلك معيار الإيمان، يقول الإمام الغزالي: "إن من أجل مواريث المحبة الأنس وحقيقته استبشار القلب وفرحه لمن كشف له من قرب الله تعالى وجماله وكماله" (١).

ثم إن توحيد القبة مشار إليه بقوله تعالى: ﴿وَيُطْعَمُونَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ (٢)، وهذا واضح في باب الدلالة إذ القبة هنا راجعة إلى الاعتقاد الصحيح بالأساس وإلى الدعاء والصلاة علي سبيل التبع.

وبناءً عليه فإن القيم الأخلاقية للملتزم بعقيدة ختم النبوة توحى بضرورة أن يكون المرء في جميع أفعاله متجهًا إلى الله سبحانه وتعالى لا إلى غيره، فمن اتجه إلى غير الله وقع في الرياء والنفاق والاشراك، قال تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا أَتَوْا وَيُحِبُّونَ أَنْ يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُمْ بِمَفَازَةٍ مِنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (٣).

(٤) التماس الواقع:

ومعناه أن الأخلاق الإسلامية في أصولها قائمة علي واقع الإنسان نفسه، فلا تفرض عليه ما هو أعلي من إمكانياته، كما فعلت النظريات الفلسفية الخيالية التي أنكرت وجود الضعف الإنساني مع أن الله تعالى نبه إلي هذا الضعف الإنساني في آيات منها قوله تعالى:

(١) - الإمام الغزالي روضة الطالبين، ص ١٢٠.

(٢) - سورة الإنسان الآيات (٨-١٠).

(٣) - سورة آل عمران الآية (١٨٨).

﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(١)، وفي ذات الوقت بعدت تلك الأخلاق الإسلامية عن البهيمية المتوحشة التي تجعل الإنسان أقسى من حيوانات الغابة، يفعل ما يشاء دون ضابط أو رقيب^(٢)، ومن المؤكد أن الوصف الأخلاقي إذا انطبق علي شيء ما ولم يصمد أمام المتماثلات فإنه لا يكون مقبولا^(٣).

ويعبر د/ دراز عن هذا بقوله: "إن القاعدة التي يقوم عليها الوصف الأخلاقي إذا لم تصمد أمام ترجمة التماثل مع القانون الطبيعي عموماً فإنها تصبح مستحيلة أخلاقياً"^(٤).
أجل لقد نبهت آيات القرآن الكريم إلي هذا الجانب في آيات منها قوله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِزِلَ عَلَيْكُمْ رِزْقًا غَيْرَ مَكْنُونٍ﴾^(٥)، وبناءً عليه فالإنسان في أعلى مراحلها إنما هو ذات تجمع بين نزعتي الخير والشر، ومن المؤكد أن في الروح والجسد معاً ميلاً إلي كل من السمو والسفل، والإنسان لا يتعالى بقمع شهوته، ولا يحقق كماله بالإذعان لها، وبناءً عليه فالأخلاق الإسلامية إنما هي ناتج العقيدة القائمة علي ختم النبوة بكل ما تعنيه الكلمة من مثالية مفهومة وأخلاق راقية.

(١) - سورة النساء الآية (٢٨) .

(٢) - النظريات التي تبنت حرية الإنسان في كل ما يفعل دون نظر إلي شيء آخر جعلته يغلب نظرية الحق علي نظرية الواجب فصار كل أنسان طبقاً لها يطالب بحقوقه ولا يؤدي شيئاً من واجباته، وارتبط به فساد المجتمعات.

(٣) - العبرة في الحكم علي قاعدة ما أخلاقية بصحتها أو عدمها هو صمودها أمام التجارب المتماثلة مع القانون الطبيعي العام، وهو القانون الذي يسمح بتقرير سلوكنا بصفة عامة .

(٤) - د/ محمد عبد الله دراز "دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق النظرية في القرآن" ص ١٠٣.

(٥) - سورة المائدة الآية (٦) .

(٥) تحقيق العدل:

المعلوم أن العدل أحد نظريات الأخلاق والقيم، وتحقيقه قائم في الشريعة الإلهية، ذلك أن علاقة الناس فيما بينهم ربما وقع فيها تجاوز فظهر ظالم ومظلوم، ولا بد من قانون يرد الظالم عن مظلمته^(١)، ويحقق العدل بينهما في أعلي معانيه حتى يستريح المظلوم بوصول مظلمته إليه، ويعرف الظالم أنه سوف يرد عن غيه، من ثم فإن تحقق العدل أمر شرعي دعت إليه الفطرة وحثت عليه الشريعة الإلهية.

ثم اتسعت المسألة في أصول الأخلاق الإسلامية فسمحت بأمر متعده منها العفو والإمهال، ومنها التصدق، وربما جمعت الآية الواحدة بين أكثر من واحد، وذلك لبيان أهميته، فمثلاً في الدين قال تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾^(٢)، فلم تلزم صاحب الدين أن يتعامل مع المدين بما فيه العسر فيشدد عليه وإنما جعلت نظره لميسرة فيها ثواب له، ثم فتحت باب التصدق علي المدين طالما عجز عن السداد، ووقع في حرج ويعوض الله تعالى صاحب الدين بأعواض كثيرة.

ذهب الشيخ الألوسي إلي أن صاحب الدين إذا وجد المدين ذو عسرة أو كان غريماً أو وقع له إعسار لضيق حال علي أي نحو كان فإمهال أو تأخير بالمستحق إلي وقت وجود يسار، فإن المعدم لا يستطيع الوفاء، ومن ثم فإن التصدق علي المعسر من الغرباء برؤوس الأموال كلها أو بعضها أكثر ثواباً من الإنظار، ثم استدل بما هو ثابت من أن "النظرة واجبة،

(١) - عني علماء الكلام بهذا الجانب وأكدوا أنه من فوائد بعثة الرسل عند حديثهم عن كل من المعارضة في الصنایع والحرف، والمعاوضة في ناتجها . راجع للإمام الإيجي "المواقف أثناء حديثه عن فوائد بعثة الرسول، وكذلك الإمام السعد التفتازاني في كتابه شرح المقاصد أثناء حديثه عن فوائد بعثة الرسل.

(٢) - سورة البقرة الآية (٢٨٠) .

وخير الله تعالى الصدقة علي النظرة^(١).

وبناءً عليه فإن التصديق الذي دلت عليه شريعة ختم النبوة لم يقف عند شيء بذاته، وإنما تمدد في جوانب الحياة كلها، فشمل الأموال والأنفس وغيرها، مما يؤكد أن تلك العقيدة لا مثيل لها، وأن الذين تنبأوا في ظلها عجزوا عن تقديم أنفسهم أو دفع الشبهات عنهم، فضلاً عن الخروج من مواطن الفساد، وتلك حكمة إلهية وسنة ربانية بتأييد أهل الإيمان وخذلان أهل العصيان، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وما دام الأصل الشرعي في كل قصاص هو أن تكون السيئة بمثلها إلا أن الأخلاق الإسلامية قرنت هذا الأصل بقاعدة أخرى هي العفو والإصلاح، قال تعالى: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْزُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)

وهذا التخيير ليس ضدًا للعدل؛ لأن الشريعة جعلته حقًا لصاحبه، وأعطته الفرص المتكررة للعفو والإمهال والتصديق، وذلك من دلائل الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي وردت بها تلك النصوص الشرعية.

(١) - العلامة الشيخ أبو الثناء محمود بن عبد الله الألوسي تفسير الألوسي "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٢، ص ٦٧٧، ط ١، تحقيق طه عبد الرؤوف سعد، دار الغد العربي، ١٤١٨هـ / ١٩٩٧م.

(٢) - سورة الشوري الآية (٤٠).

الفصل الثالث

مفاسد إنكار عقيدة ختم النبوة

بسيدينا محمد ﷺ

سلف الحديث عن فوائد الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدينا محمد (ﷺ)، وذكرت حينها أن رسوله الله (ﷺ) قد ادعي أنه أرسل إلي الناس كافة، وجاء ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(١)، كما ادعي ﷺ أنه خاتم النبيين وآخر المرسلين، وهذه أيضاً جاء لها نصوص نقلية منها قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(٢).

كما ادعا (ﷺ) أنه لا نبي بعده ولا رسول، وجاء ذلك في نصوص صحيحة قائمة في دلالتها علي هذا الختم منها قوله (ﷺ): «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا بيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»^(٣).

وفي الحديث تعليل بختم النبوة، إذ كان اليهود يزعمون كما ذكر القرآن علي لسانهم أنهم ادعوا ختم النبوة بيوسف (عليه السلام) في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زُلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ يَبْعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ﴾.

(١) - سورة سبأ الآية (٢٨) .

(٢) - سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

(٣) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور

رسول الله صلى الله عليه وسلم" كتاب (أحاديث الأنبياء ما ذكر عن بني اسرائيل) ج٦، ص ٤٩٥ .

هُوَ مُسْرِفٌ مُزْتَابٌ^(١)، فكان الرد علي هؤلاء وأمثالهم بالعقل والنقل.

وذكرت أيضاً من الأدلة العقلية أنه مع كثرة الأنبياء السابقين علي النبوة الخاتمة إلا أنه لم يدع واحد منهم أن النبوة قد ختمت به، وإنما قد بشر كل واحد منهم بنبي أو أنبياء يأتون معه أو من بعده إلا سيدنا محمد (ﷺ) فقد استقل هو بالإعلان عن ختمه بالنبوات والرسالات وأقام الأدلة علي ما ذكر.

في ذات الوقت جمعت رسالته الخواص التشريعية التي تستوعب كافة الخلق مهما امتدت الأزمنة، وذلك مما يدل علي أن الشرائع قد انتهت بشريعته، ووصلت برسالته (ﷺ) إلي الغاية التي تأكد للجميع أنه ليس بعدها شريعة ولا رسالة.

وذكرت ما يتعلق بفوائد الإيمان بعقيدة ختم النبوة بما يحقق الأمن والأمان للفرد والمجتمع متى روعيت جوانب الالتزام بتلك الشريعة الإلهية الخاتمة. وهأنذا أنتقل إلي الجانب الثاني، وأعني به المفاسد المترتبة علي إنكار عقيدة ختم النبوة.

ويبدو لكل دارس أن الذين أنكروا عقيدة ختم النبوة كانت غايتهم الطعن علي النبوة الخاتمة، من خلال دعاوي كاذبة، كما فعل اليهود وغيرهم فيما يتعلق بقضية النسخ^(٢).

(١) - سورة غافر الآية (٣٤) .

(٢) - النسخ الذي أقصده هنا هو نسخ الشريعة، نسخ النبوة لا نسخ الأحكام؛ لأن نسخ الأحكام في كل شريعة أمر دلت عليه الدلائل، كما أن نسخ بعض الأحكام في الشريعة الخاتمة أيضاً له قواعده الوارد في الكتاب والسنة، وهو بعيد كل البعد عن النسخ الديانة علي ما يزعمه منكرو نبوة سيدنا محمد (ﷺ) وبعثته، وقد ذكر هذه الجوانب علي ناحية تفصيلية أكثر مفكري المسلمين وبخاصة علماء الكلام. راجع في ذلك لابن خمير السبتي مقدمات المراشد ص ٤٢٥، وما بعدها وراجع لسعد الدين التفتازاني شرح المقاصد، ج ٢، ص ١٧٣ .

في ذات الوقت فإن الذين أنكروا عقيدة ختم النبوة أنكروا حقائق ثابتة، ومعلوم من الدين بالضرورة، فترتب عليه من المفاسد ما يمكن الإلماح إليه فيما يلي، إن شاء الله تعالى.

الأول: مصادمة الفطرة السليمة؛

ومعناه أن الفطرة الإلهية جعلت الإنسان يدرج مع النبوة من أول أمره تحرسه النبوة الخاصة حتى إذا استوي أمره جاءت النبوة الخاتمة، بحيث تراعي تطور الوعي الديني عند الإنسان واكتماله والانتقال من طور الطفولة إلى طور البلوغ يقول الشيخ محمد عبده: "جاء القرآن فنهج بالدين منهجاً لم يكن عليه ما سبقه من الكتب المقدسة، منهجاً يمكن لأهل الزمن الذي أنزل فيه ولمن يأتي بعدهم أن يقوموا عليه، فلم يقصر الاستدلال علي النبي محمد (ﷺ) بما عهد الاستدلال به علي النبوات السابقة، بل جعل الدليل في حال النبي مع نزول الكتاب عليه في شأن من البلاغة يعجز البلغاء عن محاكاته فيه، ولا في مثل أقصر سورة منه"^(١)، ومن ثم فإن الرسالة الخاتمة هي التي جمعت بين العقل والنقل، ويسرت أسباب الوصول إلي معرفة عالمي الغيب والشهادة بطريق آمن وأدلة صحيحة.

فإذا جاء من ينكر عقيدة ختم النبوة لسيدنا محمد (ﷺ) فإنما يصادم العقل، وينكر المعلوم من الدين بالضرورة، وقد نبه العلماء إلي أن "المعلوم من الدين بالضرورة هو القواطع من الأدلة التي لا سبيل إلي تحصيلها سوي من السمع نص الكتاب والسنة"^(٢).

وبناءً عليه فمن أنكر عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) فإنما يصادم أحكام العقل الصحيح، وينكر حجية النص المقدس - القرآن الكريم وصحيح السنة المطهرة.

(١) - الإمام محمد عبده رسالة التوحيد ص ٢٤، تقديم وتحقيق طاهر الطناحي كتاب الهلال سلسلة ثقافية شهرية العدد (١٤٣) رمضان ١٣٨٣ هـ / ١٩٦٣ م.

(٢) - إمام الحرمين الجويني "البرهان في أصول الفقه، ج ١، ص ٧٨ تحقيق عبد العظيم محمود الديب دار الوفاء بالقاهرة، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢ م.

وقد نبه الإمام الفخر الرازي (٦٠٦هـ) إلى أن المنكر لعقيدة ختم النبوة واقع في نطاق الكفر، وعرفه بأنه "إنكار ما علم بالضرورة مجيء الرسول به ^(١)."

ولما كان الإيمان التحقيقي هو الثابت في الفطرة، والكفر هو العارض لها فقد نبهت إليه النصوص النقلية، منها قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتُ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ^(٢)، فدل الأمر علي أن منكر الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ)) إنما يصادم الفطرة، ويسعي لخراب القلب النوراني والعقل المعرفي فيترتب عليه فساد أمري الدنيا والآخرة.

في ذات الوقت فإن من ينكر عقيدة ختم النبوة إنما ينكر الثابت، وإنكار الثابت يترتب عليه إهدار أحكام العقل الصحيحة؛ لأن العقل منحة إلهية، وهو حجة الله علي عباده، فمن أنكره فإنما يمثل هذا الانكار عدواناً علي الدين والعقل معاً وتلك جناية يقوم بها أصحابها علي سبيل القصد.

وقد نبه العلماء إلي أن السير في هذا الاتجاه يمثل جريمة شرعية وجريمة مجتمعية، أما لماذا؟ فلأن إنكار تلك القواطع من أحكام العقل والنقل وما يشترك في معرفته الخاص والعام يكون قد انتهك تلك الحرمات كلها، من حيث أنها جميعاً داخلية في نطاق المعلوم من الدين بالضرورة، الذي لا يصح فيه العبث، وإنما الذي يصح فيه هو التمسك بالنصوص الشرعية، والسعي إلي تطبيقها في العقل الواعي والسلوكيات العملية.

قد نبه الإمام أبو حامد الغزالي (٥٠٥هـ) إلي أن هذه المصادمة تمثل الاعتراض

(١) - الفخر الرازي "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين" ص ٢٠٤ وبذيله تلخيص المحصل

للطوسي طبعة مكتبة الكليات الأزهرية تحقيق طه عبد الرؤوف سعد.

(٢) - سورة الروم الآية (٣٠) .

والاغترار بالفطنة والبعد عن الاجتهاد^(١)، وبخاصة أنه رأى من هؤلاء ما رأى فهم أصحاب الأفكار السلبية، وليس بلازم أن يكون ما رآه خاصاً في جماعة بذاتها، أما لماذا؟ فلأن من زعم أنه من أصحاب النفوس الذكية المرتاضة المستفيضة عن الرياضات بالعبادات الشرعية فأهملوها، وبالتالي فقد أنكروا الإيمان بعقيدة ختم النبوة، ورأي الإمام الغزالي أنهم قد خرجوا من الإيمان إلي غيره.

وإذا كان المنكرون لعقيدة ختم النبوة قد وقعوا في الكفر، وصادموا الفطرة الإنسانية فماذا ينتظر منهم؟ لقد نبه الإمام القشيري إلي خطر هؤلاء من حيث الابتداع الذي يقومون به "ويقع لهم به الابتعاد عن الشرع ومجاوزة حد الأمر شديد الضرر"^(٢).

وإذا تتبعنا أثر هذا الانفلات عن القواعد العامة، والخروج عن المعلوم من الدين بالضرورة، وهو ترك الاعتقاد بختم النبوة تبين أن هؤلاء قد خرجوا عن القواطع كلها كما سلفت الإشارة إليه، وصادموا ما جاء من عند الله.

لقد ذهب العلامة السعد إلي "أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة هو من المعلوم من الدين بالضرورة من حيث أنه تصديق النبي فيما علم مجيئه ضرورة"^(٣).

غير خاف أن الاقرار بعقيدة ختم النبوة يتفق مع صحيح العقل والنقل، أما إنكارها فإنه يصادم العقل والنقل، ويجعل صاحبه في تيه من أمره، فلا يستطيع الخروج منه، ويكون لديه استعداد لتقبل أي مرض نفسي ومجتمعي، وقد نبه أجلة العلماء إلي أن منكر عقيدة ختم

(١) - راجع للإمام أبو حامد الغزالي فضائح الباطنية، ص ١٠١، تحقيق د/ عبد الرحمن بدوي مؤسسة دار الكتب الثقافية بالكويت.

(٢) - الإمام القشيري لطائف الإشارات ج ١، ص ٥٨٠ تحقيق إبراهيم بسنوي، ط ٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

(٣) - الإمام السعد، شرح المقاصد، ج ٢، ص ٢٦٧.

النبوة إنما ينكر معلوماً ضرورياً، وبالتالي ينكر الإجماع الكلي، يقول د/ المسير: "إن إنكار ختم النبوة ليس مجرد نفي للإجماع، بل هو سيؤدي حتماً إلى إنكار ما علم من الدين بالضرورة، وهدم حقائق الإسلام بأجمعها... ثم ينتهي إلى القول بأن: "إنكار ختم النبوة كفر صراح، والقائلون باستمرار النبوة بعد سيدنا محمد (ﷺ) مرتدون عن الإسلام"^(١).

لقد نبه الإمام محمد عبده إلى أن الذي يجب علينا اعتقاده أن الدين الإسلامي دين توحيد في العقائد، لا دين تفريق في القواعد، العقل من أشد أعوانه، والنقل من أقوى أركانه، وما وراء ذلك فترغات شياطين، وشهوات سلاطين، والقرآن شاهد علي كل بعمله، قاض عليه في صوابه وخطئه"^(٢).

أخلص مما سلف إلى ضرورة التركيز علي أن من ينكر عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يتردي في المهالك ويسقط بين شهوات النفس الأمارة بالسوء، وما أتعس من يقع في هذا الجانب.

أضف إلي ما سبق أن شهادة التاريخ الإنساني العام ما تزال قائمة في "إعلان النبي محمد ﷺ أنه خاتم الأنبياء، ولم يسمع أحد رغم طول الحقبة بنبوة واحدة من تلك النبوات التي استعلن بها أصحابها بعده ﷺ"^(٣)، لم يصح أمرها، ولا سلم شأنها، بل أصابت المجتمع في عقيدته وسلوكه من حيث إنها نبوات كاذبة.

الثاني: شيوع الإلحاد:

ومعناه أن إنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ يزيد من مساحة الإلحاد فيزداد

(١) - الدكتور/ محمد سيد أحمد المسير، "النبوة المحمدية دلائلها وخصائصها، ص ٢٦٥-٢٦٦ ط دار الاعتصام بالقاهرة ٢٠٠٠م.

(٢) - الإمام محمد عبده رسالة التوحيد ص ٤٢.

(٣) - الدكتور / عثمان عبد المنعم عيش عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية، ص ٢٧.

عدد الخارجين عن شرع الله، وذلك من شأنه إلحاق الاضرار النفسية، والأخلاقية والاجتماعية، والاقتصادية، وغيرها بالمجتمع كله، أما لماذا؟

فلأن التدين "عند الإنسان له بواعث أصيلة متمكنة في الحياة الإنسانية لا تخلو منها نفس إنسان أبداً، ولا تتعري منها حياة مجتمع في أي جيل من أجيال البشرية، وفي أي حال من أحوالها"^(١).

فإذا لجأ الفرد إلي مخالفة ذلك الثابت فإنما يحاد الله ورسوله ويعلن التمرد علي ما جاء من عند الله، وفي ذات الوقت يسعى إلي الانحراف بالفطرة الداعية إلي الدين الصحيح، يقول د/ يحي هاشم فرغل "من تورط في الانحراف دعا إلي ديانة جديدة زائفة هي ديانة الإلحاد"^(٢)، ومآل أصحابها إلي الهلاك.

وإذا كان الإلحاد يتمثل في السلوك الغير سوي، فمن المؤكد أن الملحد لا يكون بعيداً عن طلب الحكم عليه بما يمارسه، وقد نبه إلي هذا الشيخ عبد الخالق حيث ذكر أن الإلحاد هو "الكفر بالله، والميل عن طريق أهل الإيمان والرشد، وظهور التكذيب بالبعث والجنة والنار مع تكريس الحياة كلها للدنيا فقط"^(٣).

غير خاف أن الإلحاد يمثل جريمة عقلية وشرعية وأخلاقية، فإذا اجتمعت هذه كلها تبين أن أصحابها قد ساروا مع شياطينهم متمسكين بهم لا يخرجون عنهم وينطبق فيهم قول الله: ﴿كَذَّبَ الشَّيْطَانُ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ

(١) - أ/ عبد الكريم الخطيب "قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، الله ذاتاً وموضوعاً"، ص ٢٤-٢٥.

(٢) - د/ يحي هاشم فرغل "الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية" ص ٣٢٩-٣٠، بتصرف يسير مطبوعات جامعة الامارات ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.

(٣) - الشيخ عبد الرحمن عبد الخالق، "الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها" ص ٦، ط دار البحوث العلمية والافتاء والدعوة بالمملكة العربية السعودية ط ٢، ١٤٠٤هـ.

الْعَالَمِينَ ﴿١﴾.

ثم إن محاولة التخلص من الدين الإلهي والوقوف عند الظنون يثيران جدلاً واسعاً عن مصدرهما والمرتب عليهما، فإذا كان هوي النفس هو الذي يقود صاحبه إلي التخلي عن عقيدة ختم النبوة، ويلقيه في أتون الضلال، فإن القرآن الكريم قد نبه إليه وحذر منه، وقدم صورته لعلاجها قال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾ (٢).

وإذا كان الهوي هو الذي يقود صاحبه إلي التخلي عن عقيدة ختم النبوة، فقد بان أنه "مجرد ميلان النفس إلي ما تستلذه من الشهوات من غير داعية الشرع" (٣)، وهو غاية ما يرجوه الشيطان.

ومن المؤكد أن مقاصد الشريعة قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بالتوحيد الخالص والاعتقاد بالغيب الوارد عن الله تعالى، والبعد عن التصديق بهذا الوارد عن الله يكشف فساد أصحابه، ويجب أن يكون وضعهم في ذات الاطار وأعني به التخلص منهم والابتعاد عنهم، وقد نبه إلي ذلك الامام الشاطبي حيث وصفهم بأنهم "استحكمت فيهم أهواؤهم فلم يبالوا بشيء، ولم يبعدوا خلاف أنظارهم شيئاً، ولا راجعوا عقولهم مراجعة من يتهم نفسه، أو يتوقع في موارد الاشكال، وهو شأن المعتبرين من أهل العقول، أما هؤلاء فهم صنف من أصناف من اتبع هواه ولم يعبأ بعزل العازل فيه، ولكنهم مع تصنيفهم يجتمعون في أشراب الهوي في قلوبهم

(١) - سورة الحشر الآية (١٦) .

(٢) - سورة الحشر الآيتان (٤٣-٤٤) .

(٣) - الإمام الجرجاني "التعريفات" جرف الهاء، ص ٢٥٧ .

حتى لا يبالوا بغير ما هم عليه^(١).

من المؤكد أنَّ الذين وقعوا في الإلحاد قد ساروا خلف أهوائهم وانتزعوا ما يريدون لا بقوة الحجة، وإنما بالجدل المذموم قيامه علي الهوي الفاسد، وقد نبه الدكتور محمد عبد الله دراز إلي أن الهوي مذموم كله، إلا أنه " ليس في الذم علي مرتبة واحدة...^(٢)، فأشنع الهوي المخرج عن الملة، وما أدي بصاحبه إلي رد حكم الشرع عناداً، وتحكيم الطبع الفاسد بحثاً وانفراداً"^(٣).

ثم استدل علي ما ذهب إليه بآيات منها قوله تعالى قوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَصْلَهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾^(٤).

ولا يخفي أن سياقات القرآن الكريم جاء فيها الهوي المذموم مقيداً بوصف ثابت له وهو (بغير هدي) ليخرج من اتبع هواه موافقاً لما جاء من عند الله، فذلك لا ضرر عليه من هواه؛ لأن هواه يساعده علي فعل الخير المشروع ويبعده عن الفاسد، ومن مظاهر ذلك قوله

(١) - الإمام أبو إسحاق إبراهيم اللخمي الشاطبي "الاعتصام" ج ٣، ص ٣١٩-٣٢٠، ضبطه وقدم وعلق

عليه أبو عبده مشهور بن حسن آل سلمان الدار الأثرية ط ٢، ١٤٢٨ هـ / ٢٠٠٧ م.

(٢) - أراد الشيخ التأكيد علي أن كل الهوي مذموم، لكنه مراتب أدناه ما يوصل إلي الإلحاد، وأعلاه ما يعلن به صاحبه الإلحاد سواء أكان معه أمثاله وأشباهه، أم كان رأساً بذاته، ويمكن مراجعة ما كتبه الإمام الغزالي في "إحياء علوم الدين" حول ذم الهوي وما يترتب عليه ففيه تفصيل مفيد.

(٣) - د/ محمد عبد الله دراز "الميزان بين السنة والبدعة" ص ٦٩، مؤسسة أقرأ مكتبة الفنون والآداب القاهرة بدون تاريخ.

(٤) - سورة الجاثية الآية (٢٣).

تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(١).

من المؤكد أن الإلحاد ليس ظاهرة مجتمعية، وإنما هو ظاهرة نفسية قيامها علي ما يدور في الفرد ذاته، من حيث أنه فرد يقبل ما جاء من عند الله، أو يرفض، فإن قبل صار مؤمناً، وإن رفض صار ملحدًا.

وقد نبه ابن الجوزي (ت ٥٩٧هـ) إلي أن الهوي ميل الطبع إلي ما يلائمه، وهذا الميل قد خلق في الإنسان لضرورة بقائه^(٢)، فإنه لولا ميله إلي المطعم ما أكل، وإلي المشرب ما شرب، وإلي المنكح ما نكح، وكذلك كل ما يشتهي، فالهوي مستجلب له ما يفيد، كما أن الغضب دافع عنه ما يؤذيه، فلا يصلح ذم الهوي علي الإطلاق وإنما يذم المفرط، وهو ما يزيد علي جلب المصالح ودفع المضار، ولما كان الغالب من موافق الهوي أنه لا يقف منه علي حد المتافع أطلق ذم الهوي والشهوات لعموم غلبة الضرر؛ لأنه يبعد أن يفهم المقصود من وضع الهوي في النفس وإذا فهم تعذر وجود العمل به ونذر^(٣).

أخلص مما سلف إلي أن إنكار الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يترتب عليها الإلحاد في كل صوره ومظاهره، وأعني به الإلحاد الديني، والإلحاد الثقافي والإلحاد الفكري، والإلحاد المجتمعي، حينئذ تتحول الحياة كلها إلي واقع لا يرتضيه الله فيعم السخط علي الجميع؛ لأن سنة الله في خلقه قد جرت بأن الساعة لا تقوم إلا علي شرار

(١) - سورة القصص الآية (٥٠).

(٢) - الشيخ هنا يتحدث عن الهوي الطبيعي الذي تتحقق به المصالح المشروعة، فإذا خرج عنها إلي غيرها فإنه ينال اسم الهوي لا حقيقته، وبالتالي التمييز بين الهوي الموقع في الإلحاد وبين الهوي الذي تستجلب به المصالح الشرعية مسألة ضرورية.

(٣) - أبو الفرج ابن الجوزي ذم الهوي، ص ٣٥ تحقيق خالد عبد اللطيف السبع، دار الكتاب العربي

بيروت ط ١، ١٤١٨هـ / ١٩٩٨م.

الخلق.

ولا مكان للإلحاد في المجتمع المسلم الذي يتمسك أفرادُه بقواعد الإيمان، وجوانب الإسلام والقيم الأخلاقية الراقية، من حيث أن ذلك هو الذي جاء من عنده جل شأنه وما يخالفه لا يصح الالتفات إليه.

الثالث: تمكين ذوي القصور العقلي من ادعاء النبوة:

ومعناه أن القائلين باستمرار النبوة، وأنها فتحت بعد الرسول (ﷺ) زاعمين أنها ختم بهم وحدهم^(١)، وهذا من شأنه تمكين ذوي القصور العقلي من ادعاء النبوة، وهم في كل ما فعلوا كذبوا، أما لماذا؟ فلأن سيدنا محمد خاتم الأنبياء وهي حقيقة عقلية يستدل عليها العقل الصحيح بصدق النبي في دعوته وعصمته في كل ما يبلغه عن الله تعالى....^(٢)

وهي حقيقة واقعية نطقت بها الوقائع الثابتة في تاريخ النبوات السابقة في تتابع بعضها وراء بعض، وحقيقة موضوعية تبدو في حياة النبي تاريخاً باقياً، وفي القرآن كتاباً محفوظاً، وفي الإسلام ديناً عاماً وشرعية كاملة...^(٣).

(١) - ممن زعم أن باب النبوة كان مفتوحاً بعد النبي (ﷺ) وأنهم الذين ختمت بهم النبوة إلي حين وإلي الأبد علي نحو ما قال الشيرازي (الباب) أو علي نحو ما افتراه حسين علي المازندراني (البهاء). د/ طه الدسوقي حبشي الدمياطي، النبوة والتنبؤ قراءة جديدة في مسائل العقيدة، ص ٣٧٨، ط ١، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م.

(٢) - هذه الحقيقة العقلية سبقت الإشارة إليها أثناء الحديث عن فوائد الإيمان بعقيدة ختم النبوة، وطرائق الوصول إلي أدلتها.

(٣) - هذه الحقيقة الثابتة تؤكد أن سيدنا محمداً (ﷺ) هو الذي ختم الله به النبوات وجعل رسالته خاتمة الرسالات، وقد أفاض في بيان تلك الجوانب أجلة العلماء من رجال العقيدة وغيرهم. راجع الإمام السيوطي كتابه الخصائص النبوية الكبرى.

ثم هي حقيقة تاريخية يشهد لها التاريخ وتزيد شهادته قوة كلما تناولت عليها الأحقاب دون أن تصح فيها نبوة واحدة تنقضها وأية حقيقة أصدق من تلك التي يدل عليها العقل، وينطق بها الواقع، ويشهد لها التاريخ^(١).

غير أن بعض ذوي العقول التي يحيط بها القصور، وعرفوا في تاريخ الفكر الإنساني باسم أدعياء النبوة، كما عرفوا باسم المتنبة، ومنهم في الماضي مسيلمة الكذاب، وفي القرن المنصرم محمد علي الباب، وحسين المازندراني، وغيرهم، أولئك الذين ثبت أنهم كانوا يعانون من القصور العقلي، وأنهم قد دفع بهم للطعن علي النبوة الخاتمة بادعاء أنفسهم أنبياء.

وإذا كان الفكر الإنساني قد حمل في بعض جوانبه دعاوي هؤلاء علي قضية الرجعة لدي الشيعة الذين يذكرون " أن الذي تذهب إليه الامامية أخذاً بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قومًا من الأموات إلي الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعز قومًا ويذل فريقًا آخر، وذلك عند قيام مهدي آل محمد"^(٢).

فإن القول بالرجعة ربما انصب علي فكرة لديهم لم تقم أدلة صحيحة بشأنها، ومع هذا فإن الذين ادعوا النبوة، وانتشروا مع ظاهرة التنبؤ بان أنهم كانوا جميعاً يعانون أمراضاً عقلية، واضطرابات نفسية، وخللاً فيما يتعلق بالجوانب الإيجابية، ومثلهم لا يمكن أن يكون شخصاً سوياً بحيث يتم التعامل معه فيما يقول أو يقص، بدليل أن محمد علي الشيرازي المولود (١٨١٩م) كان يعاني من اضطرابات عقلية وظروف نفسية، وقد ظل أمره هكذا حتى

(١) - د/ عثمان عبد المنعم عيش، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص ٢٩ .

(٢) - محمد رضي المظفر، عقائد الإمامية، ص ٦٧، ط ١، ١٣٧٣، النجف الأشرف بالعراق.

وصف بالجنون بغية الهرب من تحمل مسئولية ما تحدث به أو أعلنه^(١).

وما دام الباب قد عاني في مطلع شبابه من تزامم أفكار الحادية في رأسه ولم يتمكن من البعد عنها، فقد عزم من يحيطون به علي تفسير هذا بأنه دعوي لنبوة جديدة، وقد ساهم في ذلك ما ذكره مرتضي العسكري "إن الأفعال الخارقة من خصوصيات الله، فإذا أمكن لواحد من الناس القيام بها فلا شك أن الله قد اتحد به وحل فيه"^(٢).

لقد فكر المحيطون بالباب انطاقه "بأن الله قد اتحد به وحل فيه، حتى صار جسد الباب هو المظهر الطبيعي للرب، بل قال عن نفسه أنه خالق الحق، إلي غير ذلك من الخرافات والأوهام التي صنعها خياله المريض، ثم أعلن عنها ودعا اتباعه إلي القول بها ضمن معتقداته الفاسدة وتشريعاته الشاذة، بجانب خياله المريض وغروره الشخصي"^(٣).

وإذا نظرنا إلي أن القول يفتح عقيدة النبوة واستمرارها لا ختمها بسيدنا محمد ﷺ قد أدي إلي ظهور الباب وأمثاله أفلا يدل ذلك علي أن التمسك بها يتنافى مع تعاليم الإسلام ويعبر في ذات الوقت عن حالات مرضية يجب أن يلقي أصحابها عناية صحيحة أو يحبسوا عن الحركة حتى لا تزداد أثارهم السلبية.

وإذا كان الباب كما ذكرت عاني من الاضطرابات النفسية والعقلية وأنكر عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) أفلا يدل ذلك علي أن فتح الباب قد أثر سلباً علي حياة المسلمين

(١) - راجع للشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير، "البابية والبهائية في الميزان" ص ٦٥، أ/ يحي محمود اليوزجي، الباب، وحسين الداھية ص ٥٧، د/ محمد إبراهيم الجيوشي، "البابية والبهائية" القسم الأول، ص ٦٣، محب الدين الخطيب "البهائية" ص ١١١.

(٢) - السيد مرتضي العسكري عبد الله ابن سبأ وأساطير أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم ص ٩٧، مكتبة القاهرة الحديثة، ط ١، ١٩٧٢ م.

(٣) - الشيخ مصطفى محمد الحديدي الطير، البابية والبهائية، ص ٧٦.

وسلوكياتهم ومعتقداتهم، وإذا كان الأمر كذلك فماذا يكون موقف الباب ومن يحيطون به، لقد أعلن هو ومن معه الطعن علي دين الإسلام حسب المخطط الذي رسمه له أعداء الإسلام، وأنه سلك طريقاً تم رسمه له حين زعم أن رسول الله (ﷺ) قد أرسل إلي الناس في التاريخ الذي بعث فيه واستمر حتى عام ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م موعد مجيء الباب^(١).

بل إن ما نقل عن الشيرازي يؤكد وقوعه في الحالات المرضية المتنوعة واعتباره عميلاً وعيناً لأعداء الإسلام، وهدفه القضاء علي الاسلام تحت ستار استمرار فتح عقيدة النبوة، وقد حاولوا التوصل إليها من خلال تأويلاتهم الفاسدة، وإنكار الآخرة إلي غير ذلك مما تناوله العلماء بالبحث والدرس^(٢)، ومن ثم فإن القراءة المتأنية لما ذكره هذا وأمثاله كان بالإمكان قطعها لو سارت عقيدة ختم النبوة برسول الله (ﷺ) المسار الذي اختاره الله لها.

أما الشخصية الثانية ممن استغلوا هذا الهوس الذي يطالب بفتح النبوة وينكر ختمها بسيدنا محمد (ﷺ) فقد جاء الكثيرون من ذوي القصور العقلي، ومن أشهرهم عباس المدعو بالميزرا يزك المازندراني النوري^(٣)، حيث ولد المازندراني في قرية نور احدي ضواحي

(١) - راجع الشيخ محمد نصر الله الجميل، دراسات حول النحل الباطلة، ص ١٨٣، ط ٢ مكتبة العربي ١٩٥١م .

(٢) - من يراجع ما نقل عن الباب فيما يتعلق بالعقيدة والتكاليف، بجانب القبلة والموقف من النساء يجد أن الرجل لا يصح أن يكون عاقلاً، وإنما الصواب أن يكون له عقل يستوجب الاسترحام الوارد في الإشارة النبوية المباركة "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل، أو يفيق". قال الألباني: حديث صحيح. الإمام ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، "سنن ابن ماجه" ج ١، ص ٦٥٨، رقم الحديث (٢٠٤١)، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.

(٣) - راجع د/ فوزي محمود الجمل الاتجاهات الفكرية الحديثة، ص ٤٧، ط مكتبة القاهرة، ١٩٩٨م.

مازندران في (١٢ نوفمبر سنة ١٨١٧ م)^(١)، ونشأ في ظروف لم تكن أحسن من سابقه لأن نشأته تحمل الكثير من الغربة وتدعو للقلق، واضطر أبوه إلي الاستدانة وتحملت الأسرة عبء الدين وهي عاجزة عن سداذه^(٢).

لقد أصيب المازندراني باضطراب نفسي وعقلي، ومن ثم ظهرت له خرافات منها ادعاؤه الولاية المطلقة، وزعمه النبوة الخاصة، ثم قفز منها إلي النبوة العامة، وأخيراً ادعي الربوبية والألوهية^(٣).

لقد فاض الكيل به فزعم أنه أوحى إليه بكتب عن طريق ما يمكن تسميته بالطاق وأنه أنزل عليه الأقدس والهيكل، ثم الايقان والعهد، وانتقلت هذه عنه الطعن في عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) واستمر المازندراني في هوسه هذا وقدم عبارات لا يمكن أن تصدر عن ذي عقل، ومنها ما زعمه تحت باب فيض الله لا ينقطع^(٤).

وكانت غايته من ذلك التأكيد علي أن النبوة لم تنقطع، وإنما هي مستمرة وتأول الآية الكريمة في قوله تعالى: ﴿وَحَاقَمَ النَّبِيِّينَ﴾^(٥)، وهو التأويل الفاسد الذي يدل علي حالات مرضية عاني أثارها هؤلاء، وبناءً عليه يكون القول بفتح عقيدة النبوة اتجاهاً يهودي الأصل قام به من يحملون أسماء إسلامية، ثم خرقوا كل قواعد العقيدة وجوانب الشريعة، وابتعدوا

(١) - راجع أ/ علي عبد الحليم نصر الله، البهائية دراسة تحليلية، ص ٤٧-٤٨ ط كركوك.

(٢) - راجع د/ فوزي محمود العزب الفكر المنحرف المشكلة والعلاج"، ص ٣٧، وإحسان إلهي ظهير، البهائية عرض ونقد.

(٣) - راجع د/ محمد مهدي خان، مفتاح باب الأبواب، ص ٣٥٦.

(٤) - راجع د/ عبد العظيم رمضان، الاتجاهات الفكرية الحديثة ص ٢٢٥، أحسن محمد الطويل الفكر المنحرف، ص ١٥٧، أ/ إحسان إلهي ظهير "البهائية نقد وتحليل"، ص ٣١٣.

(٥) - سورة الأحزاب الآية (٤٠).

عن كل ما جاء من عند الله، والذي مكن لهم ذلك هو أنهم من ذوي القصور العقلي، ومن أبرز مظاهر ذلك قوله: "إن ختم النبوة بمحمد من قبيل البلاء والمحن الإلهية التي ابتلي بها الأنعام في هذه الأيام"^(١).

إذا انتقلنا من هذا الأثر المترتب في المجتمع المسلم وجدنا ما يلي:

(أ) التمرد علي الشرع الإلهي حيث فتح هؤلاء الباب أمام مدعي النبوة مستغلين التأويل الفاسد، والإرهاب والدعوة إلي العنف، وتبديد جهود الحكومات الإسلامية التي تسعى لجمع الشتات، وتقوية الأعمدة بحيث "يتمكن المجتمع الإسلامي من مقاومة أعداء الإسلام"^(٢).

(ب) التخلص من كل تراث صحيح، وأصول قائمة يستوي في ذلك ما يتعلق بالعقيدة والشرعية والتعاليم الإلهية، ويذكر عمر عنايت "أن البهاء جن وكان ابنه عباس يعمل حاجباً له حتى لا يعرف الناس علة أبيه"^(٣).

ولا يخفي أن ما يقوم به هؤلاء يعبر عن سلوكيات غير مقبولة، وتوجهات ليست صحيحة، ويترتب عليه إعلان رغبة النيل من الكتاب والسنة ودين الإسلام علي وجه الكمال والله غالب علي أمره.

لقد نبه علماء المسلمين أن هذا الباب يمكن إغلاقه متي وجدت العقول التي تفهم الأهداف والغايات، أما لماذا؟ فلأن نبوة سيدنا محمد (ﷺ) ما تزال باقية ومن ملامح بقائها

(١) - أبو الفضائل الإيراني الحجج البهية، ص ١٦١ .

(٢) - د/ محمد عبد الغني شامة، "الغارة علي العالم الإسلامي" ص ٣٥ .

(٣) - عمر عنايت، "العقائد"، ص ١٥٦، ط القاهرة ١٩٢٨ م .

اللغة التي نقلت بها^(١)، يقول الإمام الأشعري: "النبي الآن حي في حكم الرسالة، وحكم الشيء يقوم مقام أصل الشيء"^(٢).

وما دامت نبوته قائمة مستمرة، فإن الخروج عليها يمثل صورة من صور الفكر المتدني الذي يسعى أصحابه إلى التعبير عن أنفسهم بغض النظر عن المقدمات التي يسوقونها. وقد أكد د/ دراز أن هذا الجانب الذي يجيء منه أصحاب العقول التي تحتاج الاستراحام قضي عليه الله سبحانه وتعالى في نصوص قرآنية واضحة الدلالة، ثم استشهد بقوله تعالى: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاٍ مِنَ الرُّسُلِ وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ وَمَا أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ﴾^(٣).

وغايته من ذلك بيان أن ذوي العقول الضعيفة لو تأملوا في النص نفسه ربما تراجعوا عن شطحاتهم، أما لماذا؟ فلأن الآية فيها دلالة علي أن الرسول (ﷺ) لم يقع منه شيء غير ما أمره الله به فيما يتعلق بالرسالة، ثم يقول: "ما ظنك بهذه الحياة النبوية التي تعطيك في كل حلقة من حلقاتها مرآة صافية في نفس صاحبها فتريك باطنه من ظاهره، وتريك الصدق والإخلاص مثلاً في كل قول من أقواله وكل فعل من أفعاله، بل كان الناظر إليه نجد أنه قد قويت فطنته وحسنت فراسته، كما يري أخلاقه العالية تلوح في محياه، ولو لم يتكلم أو يعمل^(٤)".

(١) - المراد باللغة النصوص الصحيحة التي تحدث بها الرسول (ﷺ) ووقف لها مدافعاً عنها علماء الإسلام الذين لهم دور واضح في رد شبهات الآخرين، والدفع بها بعيداً عن المسار التي تمضي فيه النبوة الخاتمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

(٢) - الإمام أبو المعين النسفي، "بحر الكلام في أصول الدين"، ص ٢٨٤، تحقيق د/ عبد الله محمد إسماعيل، ود/ محمد السيد شحاته، المكتبة الأزهرية للتراث ط ١، ٢٠١١م/ ١٤٣٢هـ.

(٣) - سورة الأحقاف الآية (٩).

(٤) - د/ محمد عبد الله دراز النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن ص ٣٨، اعتني به وخرج أحاديثه عبد =

وبناءً عليه فإن من يدعي فتح النبوة بعد رسول الله (ﷺ) فإنما يهدف إلى تمكين ضعاف العقول من القفز إلى منصة الترويج، والتعلق بأهداب النبوة، وفي ذلك تدمير للإنسانية علي وجه العموم، بما يترتب عليه من القول بأن من أخطار فتح النبوة ضياع الأصول الثابتة والقفز فوق القواعد الأساسية، فيترتب عليه خراب الدين والدنيا معاً، وهو الذي يسعى إليه الملحدون بغض النظر عن هوياتهم.

الرابع: التقول علي الله تعالى؛

ومعناه أن الذين يزعمون فتح باب النبوة الذي ختم بسيدنا محمد (ﷺ) هم متقولون علي الله وعلي رسوله؛ لأن الله تعالى قال ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾^(١)، فمن زعم أن الرسول (ﷺ) لم تختم نبوته النبوات وبرسالته الرسالات فقد كذب الله، -العياذ بالله- فيما أنزل، وتقول عليه بما لم يقول، وقد نبه الإمام النسفي (ت ٥٠٨هـ) إلي أن نبوة سيدنا محمد (ﷺ) قائمة ورسالته خاتمة، ثم فصل القول في عبارات دقيقة المعني، فيقول: "هو رسول في الحال"^(٢)؛ لأنه لو لم يكن رسولاً في الحال لا يصح إيمان من أسلم وآمن به^(٣)، وكذلك نقول في الآذان أشهد أن محمداً رسول

=

الحميد الدخاخي - ط ١، دار طيبة للنشر والتوزيع ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م.

(١) - سورة الأحزاب الآية (٤٠) .

(٢) - المراد بالحال الزمان الذي يمتد حتى قيام الساعة ففي كل يوم هو حال النفس اليوم وبناءً عليه فعبارة الشيخ تحمل من الدقة في الصياغة والتركيب ما يؤدي إلي فهم المعني علي ناحية صحيحة .

(٣) - في العبارة دلالة علي أن كل من آمن بالنبوة الخاتمة بسيدنا محمد فإنما هو مستمر علي ما أسلم وآمن بدلالة الحال والاستقبال، وذلك من فنون الكلام، ومجازاته اللغوية، واستعمالاته التعبيرية .

الله، ولا نقول أشهد أن محمداً كان رسول الله^(١).

لقد كشفت عبارة الإمام النسفي عن واقع يحتاج بعض الإضاءة للاستفادة بدليل أن جميع المسلمين منذ بُعث الرسول (ﷺ) حتى تقوم الساعة إنما يشهدون في آذانهم بالشهادتين "أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمداً رسول الله" فقد دل السياق علي أن النبوة الخاتمة بسيدنا محمد (ﷺ) قائمة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، بل إن سياق العبارة علي النحو الذي سلف يلقي في وجوه المكذبين بحجارة من سجيل تجعلهم بإذن الله كعصف مأكول، أما لماذا؟ فلأن كل من ادعا النبوة بعد الرسول (ﷺ) لم ينزل عليه وحي، بل كل من ادعاها ثبت أنه لم يكن سليم العقل، ولا صحيح الاعتقاد، بل ولا يملك من أمر نفسه ما يجعله في وضع يتم التعامل به علي ناحية صحيحة، وقد اشترك في هذا ادعاء النبوة الكاذبة جميعاً، من ذلك أولئك الذين قاموا بادعائها في حياة النبي (ﷺ) ومنهم مسيلمة الكذاب، والأسود العنسي، وطليحة الأسدي.

لقد سعي أصحاب النبوات الكاذبة في التعلق بأخبار حكم أهل العلم بأنها إما موقوفة علي الراوي أو ضعيفة، منها أن إبراهيم ابن النبي (ﷺ) لو عاش لكان نبياً، وأنه لو كان بعده نبي آخر لعاش إبراهيم، وما روي أن النبي أدخل يده في قبر ابنه بعد دفنه، وقال ألا إنه نبي ابن نبي.

غير أن الإمام النووي عقب علي هذه الأقوال وحكم عليها بالبطلان، وذكر أن فيها جسارة علي الكلام علي المغيبات، ومجازفة بجانب الهجوم علي أمر عظيم^(٢).

(١) - الإمام أبو المعين النسفي بحر الكلام في أصول الدين ص ٢٨٥.

(٢) - راجع للإمام شهاب الدين الألوسي تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٧، ص ٥٩، المحقق: علي عبد الباري عطية، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى،

ثم أن الإمام ابن عبد البر رحمه الله يتعجب من تلك الأقوال التي لم تصح فيقول: " لا أدري ما هذا فقد ولد نوح عليه السلام غير نبي، ولو لم يلد النبي إلا نبياً لكان كل أحد نبي لأنهم من نوح عليه السلام"^(١).

ولا أدري لماذا يتعلل أصحاب النبوات الكاذبة بأخبار كهذه، واعتقد أنها إن صحت فيمكن حملها علي وجه من وجوه التأويل التي تثبت النبوة الخاتمة ولا تنفيها، وتنتهي إلي أن النبي الخاتم هو سيدنا محمد ﷺ لا واحد بعده حتى يرث الله الأرض ومن عليها. ومن البداهة العقلية والأحكام العلمية ما قرره أصحاب الفن أنفسهم من أن الحديث النبوي مهما علت درجته، إذا تناقض مع صريح النقل من الكتاب كان دليلاً علي عدم صحته، والواضح أن تناقض هذه الأحاديث مع آية الختم تناقض واضح لكل ذي عقل، وفوق ذلك فالنبوة الخاتمة ليست إرثاً، بدليل أن الكثيرين من أبناء الأنبياء السابقين لم يكونوا أنبياء، وبالتالي فلا تعلق مسألة ختم النبوة بما تعلل به الملحدون قديماً أو حديثاً، وهذا مما يؤكد أن الذين يدعونها إنما وقعوا في "اغرار لا شعوري باحتمالات النجاح في سبيل تحقيق الأهداف الشخصية أو الجماعية"^(٢).

ومن المؤكد أن كل المتنبيين قد أصابهم ما أصابهم، وهو التقول علي الله، والكذب المتعمد، واستعمال الحيل الشيطانية بغرض تكذيب الله في كتابه وتكذيب الرسول ﷺ فيما بلغه عن ربه، وهم بهذا يعبرون عن فساد معتقداتهم وانحلال أخلاقهم، واختلال تفكيرهم بجانب التمويه والتضليل بغرض السيطرة علي الآخر من خلال زلزلة عقيدتهم ونشر الاباحية

=

١٤١٥هـ.

(١) - راجع للإمام الألويسي تفسير روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، ج ٧، ص ٥٩.

(٢) - د/ عثمان عيش عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص ٨٨.

بين الناس^(١).

ويذكر د/ عثمان عيش أن آثار هؤلاء المتنبة الفاسدين في المجتمعات الإسلامية واضحة "حيثما كانوا ينشرون مذاهبهم بين الناس، ويجمعون طوائفهم عليها لهي آثار الأدعياء المضللين لا الأنبياء الصادقين، إن أي سبب يمكن أن يكون وراء ادعائهم للنبوّة، إلا أن يكونوا صادقين في هذا الادعاء^(٢)."

ومما يدل علي تقولهم علي الله تعالي زعمهم بأن الأنبياء الذين ادعوا بعد نبوة سيدنا محمد ﷺ الخاتمة طوراً فيهم فزعموهم آلهة وأنهم يدركون من الألوهية أكثر مما يدركون من النبوة وأنهم أنوار في النبوة، - وأنوار في الإمام -، مما حدا بالشيخ آل كاشف الغطاء في إصدار حكم قاطع فيهم، وهو أن الامامية يعتقدون أن كل من اعتقد أو ادعا النبوة بعد محمد (ﷺ) أو نزول وحي أو كتاب، فهو كافر يجب قتله^(٣).

وإذا كان هذا اعتقاد المعتدلين من أئمة الشيعة فمن المؤكد أن أهل السنة والجماعة كلهم علي قلب رجل واحد في التمسك بالنصوص الواردة عن الله تعالي بشأن ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) والتأكيد علي أن القول بمخالفتها فيه كذب علي الله وعلي رسول الله، وإهدار لأحكام الشريعة الإلهية، وفتح الأبواب ليتسلل منها أعداء الإسلام الذين ارتضعوا ألبان الالحاد، وعملوا علي خدمة الشيطان، وهل هناك أكثر مما زعمه كل من الباب والبهاء

(١) - من المؤكد أن هؤلاء يقومون بأعمال موجهة عن طريق آخرين استغلوا فيهم طلب الزعامة وأدركوا ما يعانون من أمراض نفسية أو مجتمعية وأخلاقية، بجانب عثرات مالية ونزعات سياسية فجمعوا هذه كلها، وسعوا إلي تمكينهم عن طريق تلك التنبؤات الكاذبة حتى تضعي المجتمعات المسلمة بأيدي أبنائها بدل أن تضعي بأيدي أعدائها.

(٢) - د/ عثمان عيش، عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية ص ٩٣.

(٣) - الشيخ آل كاشف الغطاء، أصل الشيعة وأصولها، ص ٨٧.

وغلام أحمد وغيرهم، لقد ذكر الأخير أن له العصمة، وأنه أنزلت إليه كتب سماوية، وأن كل ما يقوله "من أنواع حسن البيان أو من تفسير القرآن فهو من الرحمن" ^(١).

في ذات الوقت فإن الخروج علي كتاب الله، والكذب فيما يتعلق بما أنزل الله هو من الدلائل الواضحة علي بعدهم عن الحق، ووقوعهم في دوائر الضلال بما يترتب عليه من فساد الأمم وخراب الذمم، واستعمال التأويل المرفوض، والتوسع فيه إلي الحد الذي ينتهي إلي ضرورة إنكار النبوة الخاتمة مستغلين السياقات الصحيحة وفصلها عن بعضها، يقول د/ طه حبيشي "الذين ادعوا النبوة بعد النبي (ﷺ) تناولوا كلمة وخاتم النبيين مقطوعة عن سياقها ولحاقها، فانقطع معناها وعزلت عن تمام دلالتها، فتمكنوا من أن يشوشوا علي معناها وعلي إيمان البسطاء أو الجاهلين" ^(٢)، وحسابهم علي الله.

الخامس: إحلال شهوة العقلانية محل النصوص الشرعية؛

ومعناه أن عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يجب التخلي عنها نظراً لقيام الخصومة بين الدين والعقل تحت مزاعم التنوير، وقد أكد د/ البهي أن التنوير الذي يحتكم إليه الإنسان بعيداً عن الشرع الإلهي يمثل "خصومة فكرية بين الدين والعقل، واتجه التفكير فيه إلي إخضاع الدين للعقل" ^(٣)، مع أن المفروض هو إخضاع العقل السليم لنصوص الدين الإلهي.

وبناءً عليه صار الإيمان بالعقل هو القاعدة التي يجب التمسك بها؛ لأن الموقف العقلاني يؤكد علي أن المعقول هو الطبيعي وليس الغيبي، وما دامت عقيدة ختم النبوة بسيدنا

(١) - غلام أحمد "نور الحق صحة نائبة، ص ٧٢، نقلاً عن عقيدة ختم النبوة ص ١٦٣.

(٢) - د/ طه حبيشي الجانب العقدي في فكر الإمام الغزالي، مع تحقيق كتاب قواعد العقائد، ج ٢، ص ١٥٧، ط ١ مكتبة الإيمان للنشر والتوزيع القاهرة ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

(٣) - د/ محمد البهي الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي ص ٢٩٧-٢٩٨.

محمد (ﷺ) من المسائل الغيبية التي تصادم الفكر العقلاني، فمن الضروري التخلص منها والتخلي عنها، ودعواهم جميعها كذب وإفتراء على الله تعالى.

بل إن شهوة العقلانية تتجه إلي إسقاط كل ما هو غيبي، أما لماذا؟ فلأن الفكر العقلاني تصدر منه عبارة لا أو من بالغيب لأنه غير عقلائي وغير قابل للفهم، كما يزعمون أن "سيلنا إلي فهم الواقع الطبيعي مرده إلي الوسائل التي يعرفها أكثرنا باسم مناهج البحث العلمي"^(١).

لقد كانت تهمة الدين عند هؤلاء قائمة في أن فيه "كثيراً من الخرافات، ويستند إلي أسس غير واقعية إنه يقوم علي المجهول، ويعتمد علي غير المنظور مما وراء الحس"^(٢)، إنهم يعتقدون أن ما يتعلق بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ما هي إلا فروض وهمية أنشأها الخوف وجسمها الاعتقاد الفاسد، ومن الضروري التخلي عنها، وإحداث بديل لها.

لقد اعتقد هؤلاء أن العقل كاف في تحصيل كافة الأمور، وأن الوهم والخرافة إنما هما من ناتج التعلق بالدين، والتمسك بقضايا غير مقبولة عند العقل، وهو اتجاه يمجّد العقل علي حساب الدين، ويحاول إسقاط النصوص الإلهية، واصطناع نصوص وأحكام فلسفية ظن أصحابها أن العقل هو برهانها، وليس الأمر كذلك، أما لماذا؟ فلأن العقل مثل باقي الحواس والعقول كلها لا تزيد عن كونها آلة إدراك، فالعين قطعاً لا تبصر مهما كانت سليمة إلا في الضوء، ولا يمكن أن تري في الظلام مهما كان الحال فإذا تكرر هذا أمكن القول "بأن العقل

(١) - كرين برينتون، "تشكيل العقل الحديث"، ص ٧٠-٧١، تحقيق شوقي جلال مكتبة الأسرة بالقاهرة، مهرجان القراءة للجميع ٢٠٠٤م.

(٢) - أ/ عبد الكريم الخطيب "قضية الألوهية بين الفلسفة والدين، الله ذاتاً وموضوعاً"، ص ٤٢، ط ٣، دار الفكر العربي ١٩٨٣م.

لا يدرك إلا في ضوء الشرع الإلهي، ونور وحيه تعالى إلي أنبيائه ورسله، ومن رأي غير هذا فإنه يغالط نفسه ويكابر في شيء من الخطأ والضلال" (١).

لقد بين مفكرو المسلمين أن العقل أحد وسائل المعرفة، وفي ذات الوقت فإن ارتباطه بغير المحسوس وحكمه عليه ليس مقبولاً، أما لماذا؟ فلأن عملية اليقين في الغيبات تعلوا علي العقل، وليس في هذا إلغاء للعقل بل إعمال له.

بل أجمع المسلمون طبقاً لما وردت به النصوص الإسلامية في رفع التكليف عن الصبيان والمجانين، ومن لا يدركون أفعالهم عند النوم يدل عليه ما ورد بالحديث الشريف "رفع القلم عن ثلاثة: عن النائم حتى يستيقظ، وعن الصغير حتى يكبر، وعن المجنون حتى يعقل، أو يفيق" (٢).

لقد أمر الله تعالى العقل بالتدبر فيما هو متاح له ونهاه عن الممنوع منه استخدامه في غير موضعه، بالتالي فالمسلمون لا يقللون من شأن العقل، ولا يخالفون في أحكامه، وفي نفس الوقت يضعونه الموضع اللائق به (٣)، ولو كان العقل يدرك كل الأشياء لما كان هناك حاجة إلي إنزال الكتب أو إرسال الرسل.

يقول الإمام السرهندي: "إن طور النبوة وراء العقل، والتفكير في الحقائق التي يعجز

(١) - د/ ممدوح فخري "التطور الفكري وعلاقة الشرع بالعقل"، ص ٢٦، ط المدينة المنورة رجب عام ١٣٨٩هـ.

(٢) - الإمام ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، "سنن ابن ماجه" ج ١، ص ٦٥٨، رقم الحديث (٢٠٤١).

(٣) - من الموضع اللائق به استعماله فيما هو متاح له، والتدبر في ملكوت السماوات والأرض، بجانب الاجتهاد في المسائل العلمية، وفوق ذلك اكتشاف العلوم المادية التي يترتب عليها ترقية المجتمع وتطوره .

العقل عن إدراكها تأتي النبوة لتثبيتها وتحقيقها، ولو كان العقل كافياً وحده لما بعث الأنبياء صلوات الله وتسليماته عليهم أجمعين^(١).

وبناءً عليه فإن العقل حجة الله علي عباده، ولكنه ليس بحجة بالغة، ولا حجة كاملة إنما حجة بما يتناسب معه، وتتحقق الحجة البالغة ببعثة الأنبياء والرسل، ثم إن الإيمان بعقيدة ختم النبوة التي تعطي العقل أمانه، ومن ثم فإن طريقة النبوة وختمها بسيدنا محمد يؤيد طريق العقل وهو النظر والاستدلال، وتؤكد ولا يتم ذلك علي وجه اليقين إلا بتقليد الأنبياء واتباعهم.

لقد فهم ابن خلدون مسألة العقل وما يتعلق به، وأكد أن أحكامه يقينية فيما هو متاح له، أما ما وراء ذلك فهو طمع في محال، يقول ابن خلدون: "العقل ميزان صحيح فأحكامه يقينية لا كذب فيها غير أنك لا تطمع أن تزن به أمور التوحيد والآخرة، وحقيقة النبوة، وحقائق الصفات الإلهية، وكل ما وراء طوره، فإن ذلك طمع في محال"^(٢).

وغايته من ذلك التأكيد علي أن الأحكام اليقينية للعقل لا يمكنها أن تتجاوز حدودها، أما لماذا؟ فلأن العقل لا يستطيع أن يحيط بذات الله وحقيقة صفاته، لما هو معلوم من أنه لا يعرف الله علي الحقيقة إلا الله، وهو عين التفويض في الغيبات، ومن يتجاوز ذلك فإنما يحمل عقله ما لا يحتمل، حينئذ يضل العقل ولا يهتدي، ويحار ولا يتواصل، ولذا فالمعتبر في التوحيد هو تكيف النفس في الكمال، وهو المهم في الاعتقادات، وحصول ملكة الطاعة والانقياد في الأعمال والعبادات مع تفرغ القلب عن شواغل ما سوي المعبود، وهذا مما يفيد العقل والعبد، ويرسخ للقاعدة القائمة علي التكليف، واستلزام العقل هذا الطريق مع التسليم

(١) - الإمام السرهندي "الرسالة"، ص ٣٦، المجموعة الثانية.

(٢) - عبد الرحمن ابن خلدون "المقدمة" ص ٤٦٠، ط ٥، دار القلم بيروت ١٩٨٤ م.

بما يجب لله، هو الذي تحصل به العقيدة الإيمانية، وتترتب عليه السعادة الدنيوية والأخروية. من المؤكد أنه لا يوجد عداء بين الدين والعقل، وإنما العداء كل العداء بين العقل والخرافة، أو الدين والخرافة، فالعقل السليم ضد الخرافة من حيث أنه لا يقبلها كما أن نصوص الدين الصحيح لا تقبله، يقول الإمام محمد عبده: "النبوة تحدد ما ينبغي أن يلحظ في جانب الوجود من الصفات، وما يحتاج إليه البشر كافة من ذلك"^(١).

ومن ثم فالنبوة الخاتمة هي المعول عليه من كافة الوجوه؛ لأنها آخر رسالات السماء إلي الأرض، وهي حبل الاتصال بين الله وبين خلقه، ولا يمكن أبداً إلا أن تكون موفية بحاجات البشر علي ناحية الكمال في الاعتقاد والتشريع بجانب القيم والأخلاق، فإذا تم التخلص منها أو حاوله البعض ضاعت الأصول، وتلاشت المعالم فلم يعد في الناس إلا الخراب والدمار^(٢).

أضف إلي ما سبق أنه لو استقل عقل بشري بكافة المصالح لم يكن علي الطريق المطلوب من العزم واليقين والاقتناع.

(١) - الإمام محمد عبده "رسالة التوحيد" ص ١١٤.

(٢) - القاعدة أن رسالات السماء إلي أهل الأرض لطف من الله تعالي ورحمة، والتمسك بها فيه حكم ومصالح، والتخلي عنها ترتبط به مفسد، وصاحب العقل السليم قد فطر علي السعي لما فيه المصالح لا ما فيه المفسد.

الخاتمة

شاءت إرادة الله تعالى أن تمضي أمور هذا البحث علي النحو الذي رأيت ضرورة القيام به علي كل من يتمكن منه نظراً لوجود تيارات تحاول القضاء علي عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) وإزالتها من عقول المعاصرين والحمد لله أن المقدمات استوفت الجانب الأكبر مما تمنيت، ثم جاءت الخاتمة متضمنة ما سأذكره بتوفيق الله تعالى علي النحو التالي:

أولاً: النتائج:

- (١) استمرار التأكيد علي أن القواعد الثابتة لا يمكن أن تنال منها اشكالات بعيدة عن الواقع العملي، أو نزغات شيطانية تحاول القفز إليها؛ لأن الأفكار الفطرية تتلاقى مع عقيدة ختم النبوة في العقل الواعي، والقلب المستنير تلاقي أجزاء العقيدة الإيمانية جميعها.
- (٢) أن محدد إثبات النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) عرض ذلك في جوانب عقلية وأخري عقلية، وثالثة واقعية؛ لأن الرسول (ﷺ) حينما بلغ أنه مرسل من ربه اجتمع في بلاغه أنه مرسل للإنس والجن والملائكة، وكل من يطلق عليه أو يدخل في عموم لفظ العالمين الذي إقترن بالرحمة والنبوة لسيدنا محمد (ﷺ) في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، ومن أنكر هذا المحدد فإنما يحكم علي نفسه بأنه فقد عقله وسقطت في العالمين ذاته وفكرته.
- (٣) أن المحدد الثاني في عموم الرسالة الخاتمة شمل الزمان فلا ماض ولا حاضر ولا مستقبل، إنما هو زمان ممتد منذ البعثة المباركة حتى يقوم الناس لرب العالمين.

وهو عموم في المكان فما من مكان في الأرض إلا ورسالة سيدنا محمد بالغة إياه شاء من شاء، وأبي من أبي يستوي في ذلك كل من يطلق عليه لفظ العالمين وبناءً عليه فهي رسالة عامة في الزمان والمكان حتى قيام الساعة، وقد قال ﷺ جعلت لي الأرض مسجداً وتربتها

(١) - سورة الأنبياء الآية (١٠٧) .

طهوراً، وهذا حكم عام في جميع أجزاء الأرض.

(٤) أن المحدد الثالث وهو ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) علي معني أنه لا نبي بعده قد شهد له النقل والعقل والواقع، أما شهادة النقل فمنها قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾^(١)، ومنها قوله (ﷺ) في حديث طويل: «كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي، وسيكون خلفاء فيكثرون» قالوا: فما تأمرنا؟ قال: «فوا ببيعة الأول فالأول، أعطوهم حقهم، فإن الله سائلهم عما استرعاهم»^(٢).

أما شهادة العقل فلأن إخبار الرسول (ﷺ) بكونه خاتم النبوة لم يقع احترام له وما زال تحديه قائماً رغم مرور السنين، وتناول الدهور وهذا في حد ذاته من شواهد العقل له. وأما شهادة الواقع فلم يأت مدع للنبوة بعد الرسول (ﷺ) وزعم أنه مرسل للإنس جميعاً أو للإنس والجن، ولا مرسل للنبات والحيوان والجماد، وبعبارة موجزة يكون الواقع قدم الوثيقة اليقينية في تصديق سيدنا محمد (ﷺ) بأنه خاتم النبوة، وتكذيباً لمن ادعاهما بعده في أي زمان وأي مكان وإلا فإن الواقع ما زال شاهداً وسيظل حتى تقوم الساعة.

(٥) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) ترتبط به مصالح تتعلق بالأفراد والمجتمعات، كما تتعلق بكافة الموجودات، وهذا في حد ذاته كاشف عن عقيدة صحيحة، وتكاليف عملية سليمة، وأخلاق إنسانية راقية مستقيمة.

(٦) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة تدور فيه مصلحة اشتراك الجنس البشري كله (عالم الظاهر) والأجناس الأخرى (عالم الباطن) وهذا في حد ذاته كاشف عن إيقان السلامة

(١) - سورة الأنبياء الآية (١٠٧) .

(٢) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" كتاب (أحاديث الأنبياء ما ذكر عن بني إسرائيل) ج ٦، ص ٤٩٥.

والخروج عن المناقضة، واتجاه الجميع إلي صالح الأمة، تطبيقاً للقاعدة من صلح أمر عقيدة استقرت تكاليفه، وصحت عبادته، وسلمت أخلاقه، وصحت معاملاته، فيتحقق الخير للفرد والمجتمع كما يتحقق الأمن والأمان.

(٧) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يصيغ التكاليف العملية بالسهولة واليسر تطبيقاً لقاعدة ذهبية مقتبسة من النص المنزل: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾^(١)، ومفادها أن من آمن بعقيدة ختم النبوة توضع أهدافه العليا أمامه، فتصح عقيدته لأنه متوجه بها إلي الله، وتصح عبادته لأنه سائر فيها إلي الله، وتصح قيمه وأخلاقه لأنها وسيلته في القرب من الله، حينئذ يقف علي عتبات الأبدية وقد مهد طريق الوصول إليها، ومن المؤكد أن رحمة الله تدركه لأنه بإحسانه وفقه الله.

(٨) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يحقق لأفراد المجتمع التواصل، ويوثق فيهم عري المودة، بحيث تسري بينهم المحبة والتقدير والاحترام، حينئذ يصير كل فرد كأنه مستخلف عن رسول الله (ﷺ)، فيما يقوم به، فيتقنه ويحسنه ويبعده عن الشوائب من الرياء والكذب والخداع والغش واستخدام الضمائر حينئذ يكون من عباد الله المقربين الذين ناداهم رب العالمين من خلال تلك القاعدة الربانية في الحديث القدسي: "وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سميعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته"^(٢).

(١) - سورة الكهف الآية (١١٠).

(٢) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج ٨، باب (التواضع) ص ١٠٥، رقم الحديث (٦٥٠٢).

٩) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يرفع الأخلاق من المستوي الإنساني إلى مستوي أحاسنكم أخلاقاً الذين يتجاوزون مع الرسول (ﷺ) في مرتبة الدنيا والآخرة وقد بشرهم بذلك النبي (ﷺ) فعن عبد الله بن عمرو أنه قال: لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً، وإنه كان يقول: «إن خياركم أحاسنكم أخلاقاً»^(١).

، وفي ذات الوقت فإن محاسن الأخلاق هم الذين لا يقتربون من المنهيات؛ لأنهم عرفوا طريق المأمورات فالتزموها علماً وعملاً وممارسة.

١٠) أن الإيمان بعقيدة ختم النبوة يجلب لأصحابها السعادة من حيث أنها تجعل طاعتهم لله تعالى منطلقاً من دائرة الحب الإلهي، وبناءً عليه فكلما أحب المرء المرء في الله كلما علا رصيدهما معاً، وتحققت لهما السعادة البدنية، والعقلية، والروحية، كما تحققت لهما سعادتا الدنيا والآخرة، أولئك هم السعداء الذين جاءت لهم البشارات في الكتاب والسنة المطهرة.

١١) أن إنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ) يترتب عليه مفسد يصعب علي الفرد الابتعاد عنها، كما يصعب علي المجتمع البقاء في ظلها؛ لأنها بعيدة عن الفطرة، كما هي بعيدة عن مستوي العقل، واقعة في نطاق الهدم، وفيهم تتحقق القاعدة لا تقوم الساعة إلا علي شرار الخلق، وهو الأمر الذي دلت عليه النصوص ووضح أدائها في نطاق التوجيه الرباني.

١٢) أن إنكار عقيدة ختم النبوة فيه مصادمة للعقيدة الفطرية التي نهت إليها النصوص النقلية، وأقرها أصحاب المذاهب الأخلاقية في الإسلام، وبخاصة الحق والواجب فإنكار عقيدة ختم النبوة يلغي الحق الذي شرعه الله، كما يهدم الواجب أو يدعو لهدمه مع أن

(١) - الشيخ محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم" ج ٨، باب (حسن الخلق والسخاء) ص ١٣، رقم الحديث (٦٠٣٥).

مصدره الله فيصير الفرد مشئت الفكر، زائع النظرات ضيق التفكير متشاءم في حياته لا يلقي أحداً إلا ولديه فيه شك وريبة، ومن ثم يتحول أفراد المجتمع إلي مرضي نفسيين، أو من ذوي الاختلالات العقلية.

(١٣) الترخيص المباشر في التخلي عن الدين والوقوع في أظافر الإلحاد، فيتحول الأفراد والمجتمع إلي طرق أخرى داعيهم إليها: ﴿أَقَمْنِ لَهٗ سُوءَ عَمَلِهٖ فَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾^(١).

(١٤) إحداث اختلالات بنائية يترتب عليها التمكين لمن فقدوا القدرة التمييزية في إدعاء النبوة، حينئذ يعلنون عن أمراضهم، مؤكدين أنها امتيازات لهم، والقاعدة أن قلب الحقائق محال، فيترتب عليه كثير من ألوان الاضطراب أعادنا الله منه.

ثانياً: التوصيات:

(١) ضرورة الالتفات إلي القواعد اليقينية البرهانية بحيث يتم اصطحابها في كل مواجهة تدور بين المسلم وغيره، بين المؤمن بعقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ والمنكر لها، فإذا تم ذلك علي وجه صحيح استطعنا أن نتعامل بقضية مهمة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ هَآئُوا بِرَهَانِكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢)، ومن المؤكد أنهم لن يجدوا برهاناً يقف لهم، وإنما سيجدون براهين متعددة ضدهم، والقاعدة العقلية قاضية بأن صاحب البرهان هو الذي يعلي غيره في كل زمان ومكان.

(٢) ضرورة الالتفات إلي ما تنشره وسائل الإعلام المعاصرة التي يكون توجيهها إلي أمة المسلمين مقصود به التشكيك في الثواب، والطعن علي صحيح النصوص، والتأويل الذي

(١) - سورة فاطر الآية (٨) .

(٢) - سورة البقرة الآية (١١١) .

يفتقد المعايير الصحيحة، فإذا ما تم وضع ذلك في خطة مدروسة وأمكن اعتبار تلك الخطط بمثابة ركائز أساسية يمكن الاستفادة بها في مواجهة هؤلاء نكون قدمنا عملاً نسأل الله أن يشيئنا به .

(٣) العمل علي مواجهة أصحاب الفكر الحدائي الذين يحاولون وضع مصطلحات فارغة عن المعاني الصحيحة، ثم يزعمون قيامها علي المناهج العلمية، ويدعون أن التزامها يساهم في القفز بالحضارة إلي سلم الترقى، وهي دعوة كاذبة، وكل ما تقوم فيه أو تنتهي إليه ضلال مبين .

(٤) وجوب مواجهة منكري عقيدة ختم النبوة اليوم بوسائلهم ومهما تعددت طرائقها نسبهم إليها، بحيث نكون قادرين علي تجاوزها، وبيان أن ما نقوم به نحو هذا المشروع من عند الله وما يقوم به هم داعيهم إليها الشيطان، والله تعالى قد وعدنا من نصرة في الدنيا والآخرة، فقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ﴾^(١)، أما هم فقد وعدهم الله تعالى بقوله: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُونَ﴾^(٢)، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

(١) - سورة غافر الآية (٥١) .

(٢) - سورة الشعراء الآية (٢٢٧) .

فهرس المصادر

اكتفيت بذكر اسم المؤلف، واسم الكتاب، حيث أن باقي البيانات المذكورة في هوامش الصفحات تخفيفاً علي جريدة المصادر.

١- القرآن الكريم

٢- ابن أبي الشریف، العلامة كمال الدین محمد بن محمد. "المسامرة بشرح المسامرة".

٣- ابن الأمير الشیخ محمد. "حاشية الأمير علي شرح عبد السلام لجوهرة التوحيد للإمام اللقاني".

٤- ابن الجوزي، الشیخ أبو الفرج. "ذم الهوي"

٥- ابن حنبل الشیخ أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل. "مسند الإمام أحمد بن حنبل".

٦- ابن خلدون، عبد الرحمن. "المقدمة"

٧- ابن عاشور، الشیخ الطاهر. "تفسير التحرير والتنوير"

٨- ابن ماجه، الإمام أبو عبد الله محمد بن یزید القزويني. "سنن ابن ماجه".

٩- أبو داود، الشیخ سليمان بن الأشعث بن إسحاق. "سنن أبي داود".

١٠- الألباني، الشیخ ناصر الدین. "سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها".

١١- الألوسي، العلامة الشیخ أبو الثناء. "روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني".

١٢- الإيجي، الإمام عضد الله والدين القاضي عبد الرحمن بن أحمد. "المواقف في علم الكلام".

١٣- البخاري، الشيخ محمد بن إسماعيل. "المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ".

١٤- بريتنون، كرين. "تشكيل العقل الحديث".

١٥- البزار، الشيخ أبو بكر أحمد بن عمرو. "مسند البزار" المنشور باسم البحر الزخار.

١٦- البهي، الدكتور/ محمد. "الفكر الإسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي".

١٧- التفتازاني، العلامة السعد. "شرح مقاصد الطالبين".

١٨- جب، هاملت. "دراسات في حضارة الإسلام".

١٩- الجرجاني، الإمام الشريف. "التعريفات".

٢٠- الجمل، الدكتور/ فوزي محمود. "الاتجاهات الفكرية الحديثة".

٢١- الجميل، الشيخ محمد نصر الله. "دراسات حول النحل الباطلة".

٢٢- الجويني، إمام الحرمين. "البرهان في أصول الفقه".

٢٣- الجيوشي، الدكتور/ محمد إبراهيم. "البابية والبهاية".

٢٤- حبيشي، الدكتور/ طه الدسوقي الدمياطي. "النبوة والتنبؤ قراءة جديدة في مسائل العقيدة".

٢٥- حبيشي، الدكتور/ طه الدسوقي الدمياطي. "الجانب العقدي في فكر الإمام الغزالي".

٢٦- حجازي، الدكتور/ عوض الله، "دراسات في العقيدة الإسلامية".

٢٧- خان، الدكتور/ محمد مهدي. "مفتاح باب الأبواب".

٢٨- الخبازي، العلامة جلال الدين عمر. "الهادي في أصول الدين".

٢٩ الخطيب الأستاذ/ عبد الكريم. "قضية الألوهية بين الفلسفة واليدين، الله ذاتاً وموضوعاً".

٣٠- دراز، د / محمد عبد الله "دستور الأخلاق في القرآن دراسة مقارنة للأخلاق

النظرية في القرآن".

٣١- دراز، د / محمد عبد الله "الميزان بين السنة والبدعة"، .

٣٢- دراز، د / محمد عبد الله "النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن"

٣٣- الرازي، الإمام فخر الدين. "الإشارة في أصول الكلام".

٣٤- الرازي، الإمام فخر الدين "محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين".

٣٥- الرازي، الإمام فخر الدين، "مفاتيح الغيب".

٣٦- رمضان، الدكتور / عبد العظيم. "الاتجاهات الفكرية الحديثة".

٣٧- السبتي، العلامة ابن خمير. "مقدمات المرشد إلي علم العقائد في دفع شبهات

المبطلين والملحدين".

٣٨- السرهندي، الإمام. "الرسالة"، المجموعة الثانية.

٣٩- السمرقندي، العلامة شمس الدين. "الصحائف الإلهية".

٤٠- السنندجي، الشيخ عبد القادر بن محمد. "تقريب المرام في شرح تهذيب الكلام".

٤١- الشاطبي، الإمام أبو إسحاق إبراهيم اللخمي. "الاعتصام".

٤٢- شامة، الدكتور / محمد عبد الغني. "الغارة علي العالم الإسلامي".

٤٣- الشهرستاني، الإمام أبو الفتح. "الملل والنحل".

٤٤- الصاوي، الشيخ أحمد. "حاشية علي شرح الخريدة البهية".

٤٥- الصديقي، الشيخ الفاضل المولي محمد بن أسعد الشهير بالجلال الدواني.

"العقائد العضدية".

٤٦- الطويل، الأستاذ/ حسن محمد. "الفكر المنحرف".

٤٧- الطير، الشيخ مصطفى. "البابية والبهاية في الميزان".

- ٤٨- ظهير، الأستاذ/ إحسان إلهي "البهائية نقد وتحليل".
- ٤٩- عامري، الدكتور/ سامي. "براهين النبوة والرد علي اعتراضات المستشرقين والمنصرين".
- ٥٠- عبد الباقي، أ/ محمد فؤاد. "المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم".
- ٥١- عبد الخالق، الشيخ عبد الرحمن. "الإلحاد أسباب هذه الظاهرة وطرق علاجها".
- ٥٢- عبد المنعم الدكتور/ عثمان. "عقيدة ختم النبوة بالنبوة المحمدية".
- ٥٣- عبده، الإمام محمد. "رسالة التوحيد".
- ٥٤- العزب، الدكتور/ فوزي محمود. "الفكر المنحرف المشكلة والعلاج".
- ٥٥- العسكري، السيد مرتضي. "عبد الله ابن سبأ وأساطير أخرى منذ القرن الثاني الهجري حتى اليوم".
- ٥٦- عنایت، عمر. "العقائد".
- ٥٧- عياض، القاضي أبو الفضل "الشفاء بتعريف حق المصطفى".
- ٥٨- الغزالي، الإمام أبو حامد. "فضائح الباطنية".
- ٥٩- الغزالي، الإمام أبو حامد. "قواعد العقائد في التوحيد".
- ٦٠- الغزالي، الإمام أبو حامد. "كيمياء السعادة".
- ٦١- الغزالي، الإمام أبو حامد. "معراج السالكين".
- ٦٢- الغزالي، الإمام أبو حامد. "روضة الطالبين".
- ٦٣- الغزالي، الإمام أبو حامد. "المستصفى".
- ٦٤- فخري، الدكتور/ ممدوح. "التطور الفكري وعلاقة الشرع بالعقل".
- ٦٥- فرغل، الدكتور/ يحيى هاشم. "الفكر المعاصر في ضوء العقيدة الإسلامية".
- ٦٦- القشيري، الإمام. "لطائف الإشارات".

- ٦٧- الكشميري، العلامة أنور شاه. "عقيدة الإسلام".
- ٦٨- اللقاني، الشيخ عبد السلام. "شرح عبد السلام المسمى إتحاف المريد علي جوهره التوحيد".
- ٦٩- مسلم، الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري. "المسند الصحيح المختصر".
- ٧٠- المسير، الدكتور/ محمد سيد أحمد. "النبوة المحمدية دلائلها وخصائصها".
- ٧١- المظفر، محمد رضي. "عقائد الإمامية".
- ٧٢- الندوي، الشيخ أبو الحسن. "خاتم النبيين".
- ٧٣- النسفي، الإمام أبو المعين. "بحر الكلام في أصول الدين".
- ٧٤- نصر الله، الأستاذ/ علي عبد الحليم. "البهائية دراسة تحليلية".
- ٧٥- نووي، الشيخ محمد الشافعي. "نور الظلام شرح منظومة عقيدة العوام".

فهرس المحتويات

٦٦٥	عقيدة ختم النبوة المصالح والمفاسد دراسة عقدية
٦٦٦	ملخص البحث باللغة العربية:
٦٦٧	ملخص البحث باللغة الإنجليزية:
٦٦٩	مقدمة
٦٧٠	أولاً: أسباب اختيار الموضوع:
٦٧١	ثانياً: منهجي في الدراسة:
٦٧٢	ثالثاً: أهمية البحث:
٦٧٢	رابعاً: المشكلات البحثية:
٦٧٣	خامساً: مكونات الدراسة:
٦٧٤	الفصل الأول: محددات بحثية
٦٧٤	تمهيد:
٦٧٦	(١) المحدد الأول: إثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم:
٦٨٣	(٢) المحدد الثاني: عموم رسالته ﷺ:
٦٨٩	(٣) المحدد الثالث: ختم النبوة بسيدنا محمد (ﷺ):
٦٩٧	الفصل الثاني: المصالح المرتبطة بختم النبوة
٦٩٧	الأول: كمال الدين:
٦٩٧	الثاني: ثبات العقيدة الإلهية وسلامتها:
٧٠١	الثالث: تطبيق الأحكام الشرعية:
٧٠٣	الرابع: تحقيق السعادة في أعلي مراتبها:
٧٠٨	الخامس: حفظ السلم والسلام ^١ :

السادس: كمال الأخلاق الإسلامية:	٧١٤
الفصل الثالث: مفاصد إنكار عقيدة ختم النبوة بسيدنا محمد ﷺ	٧٢٣
الأول: مصادمة الفطرة السليمة:	٧٢٥
الثاني: شيوع الإلحاد:	٧٢٨
الثالث: تمكين ذوي القصور العقلي من إدعاء النبوة:	٧٣٣
الرابع: القول على الله تعالى:	٧٤٠
الخامس: إحلال شهوة العقلانية محل النصوص الشرعية:	٧٤٤
الخاتمة	٧٤٩
أولاً: النتائج:	٧٤٩
ثانياً: التوصيات:	٧٥٣
فهرس المصادر	٧٥٥
فهرس المحتويات	٧٦٠